

إشراف د. عبد الحميد إبراهيم

بنو آذر البنخلاء

نصوص ودراسة

١٣٦

د. محمد عبد الرحمن الربيع

دار الشروق

بنو وادر البنخلاء

نصوص ودراسة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دارالشروق

أسرنا محمد المعتم عام ١٩٦٨

القاهرة . ٨ شارع سيويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب . ٣٣٠ البانوراما - تليفون : ٤٠٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص . ب : ٨١٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣

فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

د. محمد عبد الرحمن الربيع

بنو واد البنو نصوص ودراسة

دار الشروق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

للأستاذ الدكتور عبد الحميد إبراهيم

- ١ -

إن الفرق بين بخيل الجاحظ وبخيل مولير ، يقربنا خطوة كبيرة من مفهوم النادرة العربية .

فالبخيل عند مولير يتعرض لأنواع شتى من الصراعات النفسية ، ويحلل المؤلف أعماق شخصيته ، ويصفها في مواقف ساخرة ، تتميز بالعنف ، الذي يصل إلى حدا التجريح .

أما الجاحظ فهو يهدف إلى المتعة والتسلية ، ولا يضع مشرطا حادا داخل شخصيته ، فيحللها ويمزقها ، إنه يكتفى بوضع شخصيته في «مطبات» تحاول أن تثير الضحك ، وأن تعدل من سلوك الشخصية دون هجريح أو قسوة ، ولكن بقدر من التعاطف والحنو ، يهدف إلى إضحاك المتفرج والمتفرج عليه معاً .

إن محفوظ النقاش (انظر رقم / ١١ من نصوص هذا الكتاب) هو صورة للبخيل عند الجاحظ ، الذي يدافع عن فلسفته ويحرص على

متاعه ، ولكن الجاحظ لا يجرح تلك الشخصية ، إنه يسخر منها سخرية خفيفة طريفة ، ويجعل الطرف الآخر يضحك من فلسفته ضحكا يثير النشاط والسرور على حد قوله ، ويتمنى أن يشاركه الجميع فى متعة الضحك والتسلية ، ويقول:

«ولو كان معى من يفهم طيب ما تكلم به ، لأتى على الضحك أو لقضى على ، ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب» .

- ٢ -

إن هذ الفرق بين طريقة عنيفة ، وأخرى حانية ، يعكس فلسفة حضارتين مختلفتين .

حضارة تؤمن بالعنف ، وبحل الإشكالات عن طريق الصراع . وأخرى متسامحة حتى مع المخطئين ، لا يهملها التعذيب ولا التجريح ، ولكن يهملها بالدرجة الأولى ، أن يعود الشارد إلى حظيرته ، ويجد «الجماعة» فى انتظاره ، تفسح له مكانا بينها ، وتدعوه إلى أن يشاركها «متعة الضحك» ، حتى لو كان هذا الضحك موجهها إليه شخصيا ، فلا عداوة ولا نوايا خبيثة ، وكل شىء يجرى على سجيته .

وهنا خطأ الذين يقومون بعملية المقارنة ، بين صورة البخيل فى

الأدب العربي، وصورة البخيل فى الآداب الأوروبية، ظنا منهم أن هذه المقارنة، تدخل فى ميدان الأدب المقارن. فهنا صورة للبخيل تذكر بصورة أخرى لبخيل آخر، وكلا الصورتين تتعرضان لموضوع واحد، يثير السخرية أو الضحك.

إن هذه المقارنة تقف عند ظواهر الأشياء دون أن تتعمقها حقا، إن الصورتين عن البخيل، ولكن شتان بين بخيل وبخيل، وشتان بين رؤية حضارية تختلف هنا عنها هناك، إن التحليل العميق، الذى يتجاوز ظواهر الأشياء، يجعلنا فى النهاية فى مواجهة صورتين متنافرتين، أكثر مما هما متقاربتان، تقومان على فكرة التأثير والتأثر، وهى الفكرة التى يقوم عليها عصب الدراسات فى الآداب المقارنة.

- ٣ -

نحن بذلك نقرب خطوة كبيرة من فهم «خصوصية» النادرة العربية، سواء فى الشكل أو فى المضمون.

فهى ذات شكل يتعامل مع الأشياء فى سطحها الظاهرى، وبعفوية لا تغوص ولا تحلل ولا تشعل الصراع، وهى أيضا ذات مضمون متسامح يعكس رؤية تعانق حتى الشاردين وتدعوهم إلى لذة المشاركة، ومنتعة العودة إلى الجماعة.

ولو حللنا النادرة الأولى، التى أوردها الدكتور الربيع فى هذا

الكتاب تحت عنوان «مؤتمر عام للبخلاء»، لاقتربنا إلى ميدان التطبيق العلمى، الذى يدعم من موقف هذا التجريد النظرى.

فالنادرة تتكون من مقدمة وموضوع وخاتمة.

أما المقدمة فهى تستلفت النظر إلى هذا المذهب للبخل، الذى شاع وأصبح الناس يتدارسون أمره فى المساجد، ويستمتعون بذكره، أما الخاتمة فهى تظهر على هيئة تعليق من صاحب الحمار، الذى يغرى بطلب المزيد من أخبار هذه الجماعة. التى انتشرت حتى بين الصالحين، أما الموضوع فهو يدور حول «معاذة العنبرية» النموذج للبخيل الذكى، الذى يفيد من كل شىء حتى لو كان تافها مذموما.

وهذه البنية الفنية تتكون كما قلنا من ثلاثة أجزاء، كل جزء مستقل عن الآخر، وإن كان كل جزء يتعاون مع الآخر فى تنمية الهدف الكلى للنادرة. وهى تركيبة قد ارتضتها المقامات كنموذج للأدب الفصيح، وارتضتها أيضا رحلات السندباد كنموذج للأدب الشعبى، وهذه التركيبة، سواء كانت فى المقامات أو عند السندباد أو حتى فى النادرة العربية، إنما تعبر عن شكل أصيل، تضرب جذوره إلى رؤية تاريخية وإلى ترسبات من واقع المكان والبيئة، مما عرضنا بالتفصيل فى الجزء الرابع فى كتاب «الوسطية العربية» وفى فصل «الشكل الأصيل وتصالح الطرفين».

والنادرة تسخر من «معاذة» ولكن بتعاطف شديد. حقا، إن صفة

البخل صفة مذمومة، ولكن الجاحظ يصور هذه الصفة بطريقة كاريكاتورية مضحكة، وكأنها الدعابة الخفيفة التي لا تجرح ولا تهدم، بل تأخذ بيد الشخصية ويحنو شديد، وتدفعها إلى تعديل سلوكها، والانتماء إلى الجماعة.

- ٤ -

وكل هذا يعنى أننا إزاء جنس أدبي خاص، يعكس رؤية حضارية، تفرض نفسها على مضامين هذا الجنس، وعلى بنيته الفنية.

وقد حاول الدكتور الربيع فى القسم الثانى من هذا الكتاب - وهو القسم الخاص بالدراسة - أن يحدد ملامح هذا الجنس الأدبى، وأن يعددها فى أمور أوصلها إلى ثمانية.

حقا إن الدكتور الربيع فى تحديد ملامح هذا الجنس، لم يتطرق للحديث عن الملامح الفنية، ربما اكتفاء بما ورد فى العدد الأول من هذه السلسلة، إذ تضمن فى القسم الثانى الخاص بالدراسة، حديثا عن ملامح هذا الجنس، سواء فى رؤيته الفلسفية، أو رؤيته الفنية.

ويمكن أن نطلق على هذا الجنس الأدبي، مصطلح «النادرة»،
والنادرة - كما تقول المعاجم العربية - هي «الطرفة من القول».
والطرفة - كما تقول المعاجم أيضا - هي كل مستحدث عجيب.

والمعاجم العربية تقف عند هذه الوظيفة العامة التي تشير إلى
وجود جنس أدبي، يتوافر له كل ما يتوافر للأدب من طرافة وجدة
وإثارة.

ونحن لا نطلب من المعاجم أكثر من ذلك، فهي معنية بالدلالات
اللغوية، التي تقف عند المستوى الأول للغة ولا تتجاوزه إلا في
إشارات قليلة، أما المستوى الثانى الذى يتطلب تحديد الخصائص
الأدبية، فهو من مسئولية النقاد والمنظرين.

والتحدى الأكبر يتطلب من النقاد والمنظرين، أن يكشفوا عن
خصائص هذا الجنس من داخله، وأن يتخلصوا من الكسل العقلى
الذى يجعلهم يتسترون وراء عبارات غامضة وعامة، أو يقتبسوا
المصطلحات الأجنبية، التى نشأت فى كل جنس آخر، له فلسفته
التاريخية وظروفه البيئية.

إن النادرة شىء يختلف تماما عن القصة القصيرة، إن لها
مصطلحاتها الخاصة، التى تختلف عن العقدة والذروة والشخصية

المركبة والموقف المائل واللحظة التنويرية، وغير ذلك من مصطلحات عرفناها مع معرفة القصة القصيرة، فى شكلها الوافد من الغرب .

إن مصطلحات القصة القصيرة تخضع فى عمومها لروح الصراع، التى تسيطر على بنية الحضارة الأوروبية . أما النادرة فهى تتعامل مع الأشياء بخفة ودون الإيغال فى الصراع، وتلجأ من أجل ذلك إلى وسائل، قد تبدو فى الوهلة الأولى أنها ساذجة، من نتاج الشعوب البدائية، التى لا تستطيع التعمق فى التحليل أو فى الصراع . ولكن عند التدقيق نكتشف أن هذه السذاجة إنما هى سذاجة التلقائية والعفوية، التى تجذب أكثر مما تنفر، ونكتشف أيضا أن هذه العفوية قد تصل إلى الهدف بطريقة أسرع، وتعمل إلى عودة «الشاذ» إلى المجموع دون عنف ولا تجريح، لأنها تدرك بفطرتها أن العنف قد يجرُّ إلى العناد، وقد يرفع بالأمور كلها إلى التأزم وإلى الذروة، وإلى العقدة، وغير ذلك من مصطلحات عرفتها القصة القصيرة، ونشأت فى ظلال عملية الصراع .

- ٦ -

وهدف هذه المجموعة «من تراثنا القصصى»، هو الكشف عن ملامح النادرة العربية، حتى تستقر بيننا على هيئة مصطلحات خاصة، كما استقرت فى صورتها الإبداعية، التى احتفظت بها المؤلفات القديمة .

وهنا تأتي أهمية هذا العدد، الذي يقدمه لنا الدكتور محمد عبد الزحمن الربيع، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تحت عنوان «نوادير البخلاء».

إن نوادر البخلاء تمثل رافداً «ضخماً» من روافد النادرة العربية، وأضع كلمة «ضخماً» بين علامتي تنصيص، لأن هذه النوادر عن البخلاء قد شاعت بين الناس أكثر من غيرها، ربما بسبب شخصية البخيل، وهي شخصية معقدة، تعكس ظروفًا اجتماعية ونفسية، وتثير حفيظة كثير من الناس، ويجد فيها الأديب مادة طريفة، خاصة إذا جمع بينها وبين شخصية أخرى، هي شخصية «الطفيلي» إذ يحدث صراع بين الشخصيتين، إحداهما ترغب والأخرى تمنع، وتكون الفرصة مواتية لكي يخلق الأديب جواً من الصراع، يتميز بالطرافة والمتعة.

ومن هنا أصبح تقليداً أن تحوى الكتب القديمة، شيئاً من نوادر البخلاء، جنباً إلى جنب مع القصائد الشعرية والنثر الفني، فالمؤلف القديم يدرك بحاسته النقدية أن هذا الجنس الأدبي لا يقل في أهميته عن الشعر والخطب والرسائل.

وقد تتبع الدكتور الربيع في القسم الثاني من هذا الكتاب، حركة التأليف حول البخل والبخلاء منذ الأصمعي، وحتى الفقيه الحنبلي جمال الدين يوسف، ومروراً بالجاحظ، وابن قتيبة، وأبي حيان التوحيدى، وابن عبد ربه، والأبشهي، وغيرهم كثيرون.

ولم يكتف الدكتور الربيع بذلك، بل قدم لنا فى القسم الأول نماذج من نواتر البخلاء، ضبطها، وشرح غامضها وأحالتها إلى مصادرها الأصلية، وأخيرا حللها وأشار إلى دالاتها المضمونية والفنية فى نهاية الكتاب.

وبذلك أصبح القارئ أمام نماذج، معتمدة وأصلية، تمثل هذا الجنس الأدبى، وتدفعه إلى اكتشاف مصطلحاته الخاصة، وإلى إرساء دعائمه كفن مستقل، ليس هو القصة القصيرة، ولا المقالة النقدية، ولكنه فقط هو النادرة العربية.

القسم الأول
النصوص المختارة

(١)

المؤتمر العام للخلاء

قال أصحابنا من المسجدين^(١) : اجتمع ناسٌ في المسجد ممن يَتَحَلُّ الاقتصَادَ في النَفَقَةِ وَالتَّشْمِيرَ لِلْمَالِ من أصحابِ الجَمْعِ وَالْمَنَعِ^(٢) وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنَسَبِ الذي يجمع على التَّحَابِ، وَكالحَلْفِ الذي يجمع على التناصِرِ، وكانوا إذا التَّقَوْا في حِلَقِهِمْ، تذاكروا هذا البابَ وتطَارحُوهُ وتدارسوه التماسًا لفائدة واستمتاعًا بذكره.

.....

ثم اندفع شيخٌ منهم فقال :

لم أرَ في وَضْعِ الأمورِ مَوَاضِعَهَا وفي تَوْفِيَّتِهَا غايةَ حقوقها كمُعَاذَةَ العنبرية .

(١) المسجديون : طائفة من الخلاء يجتمعون في المساجد وبخاصة في مساجد البصرة .
(٢) أصحاب الجمع والمنع : اصطلاح أطلقه الخلاء على أنفسهم أي أنهم يجمعون المال ولا يفرطون فيه .

قالوا: وما شأنُ معاذةِ هذه؟

قال: أهدى إليها ابنُ عمِّ لها أضحيةً، فرأيتها كثيبةً حزينةً مُفكرةً مُطرقةً فقلت لها: مالكِ يا معاذة؟

قالت: أنا امرأةٌ أرملةٌ وليس لي قِيمٌ ولا عهدٌ لي بتدبيرِ لحمِ الأضاحي، وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه، وقد خفتُ أن يضيعَ بعضُ هذه الشاةِ ولستُ أعرفُ وضعَ جميعِ أجزائها في أماكنها، وقد علمتُ أنَّ اللهَ لم يخلقُ فيها ولا في غيرها شيئاً لا منفعةً فيه، ولكنَّ المرءَ يعجزُ لامحالةٍ، ولستُ أخافُ من تضييعِ القليلِ إلا أنه يجرُّ تضييعَ الكثيرِ.

أما القرنُ فالوجهُ فيه معروفٌ، وهو أن يُجعلَ منه كالخطافِ^(١) ويسمرَ في جذعٍ من أجداعِ السقفِ فيعلقُ عليه الزبلُ والكيرانُ^(٢)، وكلُّ ما خيفَ عليه من الفأرِ والنملِ والسنانيرِ وبناتِ وردانٍ والحياتِ وغيرِ ذلك.

أما المُصرانُ فإنه لأوتارِ المندفةِ وبناتِ إلى ذلك أعظمُ حاجةٍ. وأما قحفُ^(٣) الرأسِ واللحيانُ وسائرُ العظامِ فسبيلُهُ أن يكسرَ بعد

(١) الخطاف: حديدة معقوفة يعلق عليها.

(٢) الزبل: جمع زبل وهو القفة، والجراب أو الوعاء. والكيران: جمع كور وهو الرحل.

(٣) قحف الرأس: أعلى الدماغ من العظم. واللحيان: تشبة لحي وهو عظم الحنك الذي عليه الأسنان.

أن يُعْرَق^(١)، ثم يُطْبَخُ فما ارتَفَعَ من الدَّسَمِ كان للمصباح وللإدام
والعصيدة^(٢) ولغير ذلك، ثم تُؤْخَذُ تلك العظامُ فيوقدُ بها فلم يرَ
الناسُ وقودًا قطُّ أصفى ولا أحسنَ لهبًا منه، وإذا كانت كذلك فهي
أسرعُ في القدرِ لقلَّةِ ما يُخالطُها من الدخان، وأما الإهابُ فالجلدُ
نَفْسُهُ جِرَابٌ وللصوفِ وجوهٌ لا تُعدُّ، وأما الفرثُ والبعرُ فحطَبٌ إذا
جَفَّفَ عَجِيبٌ.

ثم قالت: بقي الآن علينا الانتفاعُ بالدمِ وقد علمتُ أن الله - عزَّ
وجلَّ - لم يُحَرِّمْ من الدمِ المَسْفُوحِ إلا أكلَهُ وشُرْبَهُ وأنَّ له مواضعَ
يجوزُ فيها ولا يُمنَعُ منها وإن أنا لم أقعُ على علمِ ذلك حتى يوضعَ
موضعَ الانتفاعِ به صارَ كَيْفَةً في قلبي وقذِي في عيني وهما لا يزالُ
يُعَاوِدُنِي.

قال: فلم ألبثُ أن رأيتها قد تَطَلَّقَتْ وتبَسَّمتُ فقلتُ: ينبغي أن
يكونَ قد انْفَتَحَ لك بابُ الرأيِ في الدمِ قالت: أجلُ ذَكَرْتُ أن عندي
قُدُورًا شَامِيَّةٌ جُدُودًا وقد زعموا أنه ليس شيءٌ أدبغَ ولا أزيدَ في قُوَّتِهَا
من التلطيخِ بالدمِ الحارِّ الدَّسَمِ وقد استرحتُ الآن إذ وَقَعَ كُلُّ شَيْءٍ
مَوْقِعَهُ.

قال: ثم لقيتها بعد ستة أشهرٍ فقلتُ لها: كيفَ كان قَدِيدُكَ؟

(١) يعرق: أي بعد أن يؤكل ما عليه من اللحم.

(٢) العصيدة: طعام من الدقيق والسمن.

قالت: بأبي أنت لم يَجِيءُ وقتُ القديدِ بعدُ، لنا في الشحمِ والإليَّةِ
والجنوبِ والعظمِ المُعَرَّقِ وفي غير ذلك مَعَاشٌ ولكلِّ شيءٍ إِبَانٌ.

فَقَبَضَ صاحبُ الحمارِ والماءِ العَذْبِ قَبْضَةً من حَصَى ثم ضَرَبَ بها
الأرضَ ثم قال: لا تَعْلَمُ أنك من المُسْرِفينَ حتى تَسْمَعَ بأخبارِ
الصالحينَ

البخلاء للجاحظ ص ٢٧

(٢)

الكندي وتأجير العقارات

قال مَعْبُدٌ: نَزَلْنَا دارَ الكندي أكثرَ من سنةٍ نُروِّجُ له الكِرَاءَ ونَقْضِي
له الحَوَائِجَ ونَفِي له بالشرطِ.

قلت: قد فَهِمْتُ تَرْوِيجَ الكِرَاءِ وَقَضَاءَ الحَوَائِجِ فما معنى الوفاء
بالشرطِ؟

قال: في شَرْطِهِ على السكان أن يكونَ له رَوْتُ الدابةِ، وبَعْرُ الشاةِ
ونَشْوَارٌ^(١) العُلُوفَةُ، وألَّا يَلْقُوا عَظْمًا ولا يُخْرِجُوا كُسَاحَةً^(٢)، وأن
يكونَ له نَوَى التمرِ وقُشُورُ الرَّمَّانِ، والغَرْفَةُ من كلِّ قِدرٍ تطبخُ

(١) نشوار العلوقة: ما تبقى الدابة من العلف.

(٢) كساحة: ما يكسح من البيت أى يكس وينظف

للحُبلى فى بيته، وكان فى ذلك يَنْزَلُ عليهم فكانوا لَطِيبه وإفراطِ
بخله وحسنِ حديثه يَحْتَمِلُونَ ذلك .

قال معبد: فبينما أنا كذلك إذ قَدِمَ ابنُ عمِّ لى ومعه ابنٌ له وإذا
رُقْعَةٌ منه قد جاءتنى «إن كان مَقَامُ هذين القادمين ليلةً أو ليلتين
احْتَمَلْنَا ذلك وإن كان إِطْمَاعُ السُّكَّانِ فى الليلة الواحدة يَجْرُ عَلَيْنَا
الطَّمَعُ فى الليالى الكثيرة» فكتبتُ إليه «ليس مَقَامُهُما عندنا إلا شهراً
أو نحوَه» فكتب إلى «إنَّ دارَكَ بثلاثين درهماً وأنتم ستةٌ لكلِ رأسٍ
خمسةٌ فإذا قد زِدْتَ رجلين فلا بد من زيادة خمسين فالدارُ عليك من
يومك هذا بأربعين» فكتبتُ إليه «وما يَضُرُّكَ من مَقَامِهِما وثقلُ
أبدانِهِما على الأرضِ التى تحملُ الجِبَالَ، وثقلُ مؤنَّتِهِما على دونك؟
فَاكْتُبْ إلى بعدرك لأَعْرِفَهُ» ولم أدْرِ أنى أَهْجَمُ على ما هَجَمْتُ وأقعُ
منه فيما وَقَعْتُ فكتبُ إلى «الْخِصَالُ التى تدعو إلى ذلك كثيرةٌ وهى
قائمةٌ معروفةٌ، من ذلك سَرْعَةُ امتلاءِ البَالُوعةِ وما فى تَنْقِيَتِها من شِدَّةِ
المُؤَنَّةِ، ومن ذلك أن الأَقْدَامَ إذا كَثُرَتْ كَثُرَ المشى على ظُهُورِ السَطُوحِ
المُطَيَّنَّةِ وعلى أرضِ البيوتِ المُجَصَّصَةِ والصعودُ على الدَّرَجِ الكثيرةِ
فَيَنْقَسِعُ لذلك الطينُ وَيَنْقَلِعُ الجِصُّ .

وَيَنْكَسِرُ العَتَبُ مع انْتِشاءِ الأَجْدَاعِ لكثرةِ الوَطْءِ وتكسرها لِفَرَطِ
الثقلِ، وإذا كَثُرَ الدخولُ والخروجُ والفتحُ والإغلاقُ والإقفالُ وجذبُ

الأقفال تهشمت الأبواب وتقلعت الرزات^(١)، وإذا كثر الصبيان وتضاعف البوش^(٢) نزعتم مسامير الأبواب وقلعت كل ضبة^(٣) ونزعت كل رزة وكسرت كل حوزة وحفر فيها آبار الزرو^(٤) وهشموا بلاطها بالمداحي، هذا مع تخريب الحيطان بالأوتاد وخشب الرفوف، وإذا كثر العيال والزوار والضيغان والندماء احتيج من صب الماء واتخاذ الحبة القاطرة^(٥) والجرار الراشحة إلى أضعاف ما كانوا عليه، فكم من حائط قد تاكل أسفله وتناثر أعلاه واسترخى أساسه وتداعى بنيانه من قطر حب ورشح جرة ومن فضل ماء البئر ومن سوء التدبير.

وعلى قدر كثرتهم يحتاجون من الخبز والطبخ ومن الوقود والتسخين، والنار لا تبقى ولا تذر وإنما الدور حطب لها وكل شيء فيها من متاع فهو أكل لها فكم من حريق قد أتى على أصل الغلة. فكلفتهم أهلها أغلظ النفقة وربما كان ذلك عند غاية العسرة وشدة الحال وربما تعدت تلك الجناية إلى دور الجيران وإلى مجاورة الأبدان والأموال فلو ترك الناس حينئذ رب الدار وقدر بليته ومقدار مصيبتة لكان عسى ذلك أن يكون مُحتملاً ولكنهم يتشائمون به ولا يزالون يستثقلون ذكره ويكثرُونَ من لائمته وتعنيفه».

البخلاء للجاحظ ص ٧١

(١) الرزات: جمع رزة، الحديدية الموجودة في الباب.

(٢) البوش: الجماعة والعيال. (٣) الضبة: حديدة يغلق بها الباب.

(٤) الزرو والمداحي: من ألعاب الأطفال في ذلك الوقت.

(٥) القاطرة والراشحة: أنواع من الجرار الفخارية تستخدم لتبريد الماء.

(٣)

بخل أهل طوس

عن أبي تغلب عبد الوهاب بن علي الحسن الملقب بالملحمي قال: حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجزيري قال: أنبأنا محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا عبد الرحمن - يعني ابن عبيد الله بن قريب ابن أخي الأصمعي - عن عمه قال: أبخل أهل خراسان أهل طوس؛ وكانت قرية من قرأها قد اشتهر أهلها بالبخل، وكانوا لا يقرّون ضيفاً فبلغ ذلك والياً من ولاتهم ففرض عليهم قرى الضيف وأمرهم أن يضرب كل رجلٍ منهم وتدّاً في المسجد الذي يصلى فيه وقال: إذا نزل الضيف فعلى أي وتد علق سوطاً أو ثوباً فقراه على صاحب الوتد؛ وكان فيهم رجلٌ مفترط البخل فعمد إلى عود صلب فملسه وحدده وصيره في زاوية المسجد ووتده منصوباً ليزل عنه ما علق عليه. فدخل المسجد ضيفاً فقال في نفسه ينبغي أن يكون هذا الوتد لأبخل القوم وإنما فعل هذا هرباً من الضيافة فعمد إلى عمامة فعقدتها على ذلك الوتد عقداً شديداً فثبتت وصاحب الوتد ينظر إليه قد سقط في يديه فجاء إلى امرأته مغتماً فقالت: ما شأنك؟ فقال: البلاء الذي كنا نحيد عنه، قد جاء الضيف ففعل كذا وكذا. فقالت: ليس حيلة إلا الصبر واستعانة الله عليه، وجعلت تعزيه واجتمع بناته

وجيرانه مُتَحَزِّينَ لما حَلَّ به وكان أمرُ الضيفِ عندهم عظيمًا فعمد إلى شاةٍ فذَبَحَها وإلى دَجَاجٍ فاشتواها وإلى جَفَنَةٍ فملاها ثريدًا ولحمًا فجعلتُ امرأته وبناته وجاراته يتطلعنَ من فُروجِ الأبوابِ والسطُوحِ إلى الضيفِ وأكله وجعلوا يتبادرون: قد جاءَ الضيفُ، ويَلِكُكم، قد جاءَ الضيفُ. فتناولَ الضيفُ عرْقًا من ذلك اللحمِ ورغيفًا فأكله ومسحَ يدهُ وحمدَ اللهَ عزَّ وجلَّ وقال: ارفعوا بركَ اللهِ عليكم! فقال صاحبُ البيتِ: كلُّ يا عبدَ اللهِ واستوفِ عشاءَكَ فقد تكَلَّفْنَا لكَ قال: قد اكتفيتُ فقال: أهكذا أكلُ الضيفِ مثلُ أكلِ الناسِ لا غير؟ قال: نعم قال: ما ظننتُ إلا أنكَ تأكلُ جميعَ ما عملنَاهُ وتدعوُ بغيره فكان ذلك الرجلُ بعد ذلك لا يمرُّ به ضيفٌ إلا قرأه

البخلاء للخطيب البغداي ص ١٨٤

(٤)

أكل الرءوس

وكان أبو عبد الرحمن الثوري يُعجَبُ بالرءوسِ وَيَحْمَدُها وَيَصِفُها وكان لا يأكل اللحمَ إلا يومَ أَضْحَى أو من بقيةِ أَضْحِيتهِ أو يكون في عُرْسٍ أو دَعْوَةٍ أو سَفْرَةٍ وكان سَمَى الرأسِ عُرْسًا لما يجتمع فيه من الألوان الطيبة وكان يسميه مرَّةً الجَامِعَ ومرَّةً الكَامِلَ.

وكان يقول: الرأسُ شيءٌ واحدٌ وهو ذو ألوانٍ عجيبةٍ وطُعمٍ

مُخْتَلَفَةٌ وَكُلُّ قَدْرٍ وَكُلُّ شِوَاءٍ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَالرَّأْسُ فِيهِ الدِّمَاغُ
فَطَعْمُ الدِّمَاغِ عَلَى حِدَةٍ، وَفِيهِ الْعَيْنَانِ وَطَعْمُهُمَا شَيْءٌ عَلَى حِدَةٍ،
وَفِيهِ الشَّحْمَةُ الَّتِي بَيْنَ أَصْلِ الْأُذُنِ وَمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ وَطَعْمُهَا عَلَى حِدَةٍ؛
عَلَى أَنَّ هَذِهِ الشَّحْمَةَ خَاصَّةٌ أَطْيَبُ مِنَ الْمُنْخِ وَأَنْعَمُ مِنَ الزَّبْدِ وَأَدْسَمُ
مِنَ السَّلَاءِ^(١) وَفِي الرَّأْسِ اللِّسَانُ وَطَعْمُهُ شَيْءٌ عَلَى حِدَةٍ . . . وَالرَّأْسُ
سَيِّدُ الْبَدَنِ فِيهِ الدِّمَاغُ وَهُوَ مَعْدِنُ الْعَقْلِ وَمِنْهُ يَتَفَرَّقُ الْعَصَبُ الَّذِي فِيهِ
الْحِسُّ وَبِهِ قِوَامُ الْبَدَنِ، وَإِنَّمَا الْقَلْبُ بَابُ الْعَقْلِ كَمَا أَنَّ النَّفْسَ هِيَ
الْمُدْرِكَةُ وَالْعَيْنُ هِيَ بَابُ الْأَلْوَانِ وَالنَّفْسُ هِيَ السَّامِعَةُ الذَّاثِقَةُ وَإِنَّمَا
الْأَنْفُ وَالْأُذُنُ بَابَانِ وَلَوْلَا أَنَّ الْعَقْلَ فِي الرَّأْسِ لَمَا ذَهَبَ الْعَقْلُ مِنَ
الضَّرْبَةِ تُصِيبُهُ . . .

وكان لا يشتري الرأسَ إلا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ
وكان لا يشتري إلا رأسَ فتى لوفارة الدماغ . . .

وكان لا يشتري الرأسَ إلا يوم سبتٍ

وأما اختياره شراءَ الرؤوسِ يومَ السبتِ فإنَّ القصابينَ يذبحونَ يومَ
الجمعةِ أكثرَ فتكثرُ الرؤوسُ يومَ السبتِ على قدرِ الفضلِ فيما
يذبحونَ، ولأنَّ العوامَّ والتجارَ والصناعَ لا يقرمونَ إلى أكلِ الرؤوسِ
يومَ السبتِ مع قُربِ عهدِهِم بِأكلِ اللحمِ يومَ الجمعةِ ولأنَّ عامتهمُ قد

(١) السلاء: السمن.

بَقِيَتْ عِنْدَهُ فَضْلَةٌ فَهِيَ تَمْنَعُهُ مِنَ الشَّهْوَةِ، وَلِأَنَّ النَّاسَ لَا يَكَادُونَ
يَجْمَعُونَ عَلَى خِوَانٍ وَاحِدٍ بَيْنَ الرَّءُوسِ وَاللَّحْمِ.

البخلاء للجاحظ ص ٩٥

وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة رواية.

عن الجاحظ ج ٣ ص ٢٢٢

(٥)

مخاطبة الدراهم

وحديث سَمِعْنَاهُ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ، زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا قَدْ بَلَغَ فِي
الْبُخْلِ غَايَتَهُ وَصَارَ إِمَامًا، وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا صَارَ فِي يَدِهِ الدَّرْهَمُ خَاطَبَهُ
وَنَاجَاهُ وَفَدَّاهُ وَاسْتَبْطَأَهُ، وَكَانَ مِمَّا يَقُولُ لَهُ: كَمْ مِنْ أَرْضٍ قَدْ قَطَعْتَ
وَكَمْ مِنْ كَيْسٍ قَدْ فَارَقْتَ وَكَمْ مِنْ خَامِلٍ رَفَعْتَ وَمِنْ رَفِيعٍ قَدْ
أَحْمَلْتَ، لَكَ عِنْدِي أَلَا تَعْرَى وَلَا تَضْحَى.

ثم يُلْقِيهِ فِي كَيْسِهِ وَيَقُولُ لَهُ: اسْكُنْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ فِي مَكَانٍ لَا
تُهَانُ وَلَا تُذَلُّ وَلَا تُزَعَّجُ مِنْهُ. وَأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ دَرَاهِمًا قَطُّ فَأَخْرَجَهُ
وَأَنَّ أَهْلَهُ أَحْوَا عَلَيْهِ فِي شَهْوَةٍ وَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ فِي إِنْفَاقِ دَرَاهِمٍ فَدَافَعَهُمْ
مَا أَمَكْنَ ذَلِكَ، ثُمَّ حَمَلَ دَرَاهِمًا فَقَطَّ فَبَيْنَاهُ ذَاهِبٌ إِذْ رَأَى حَوَاءً قَدْ
أَرْسَلَ عَلَى نَفْسِهِ أَفْعَى لِدَرَاهِمٍ يَأْخُذُهُ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: أَتَلْفُ شَيْئًا تُبْذَلُ

فيه النفسُ بأكلةٍ أو شربةٍ، والله ما هذا إلا مَوْعِظَةٌ لى من الله، فرجع إلى أهله وردَّ الدرهم إلى كيسه، فكان أهلهُ منه فى بلاءٍ وكانوا يَتَمَنُّونَ موته والخلاصَ منه بالموت والحياة بدونه.

فلما مات وظنوا أنهم قد استراحوا منه قَدِمَ ابنُه فاستولى على ماله وداره ثم قال: ما كان آدمُ أبى؟ فإن أكثر الفساد إنما يكون فى الإدام. قالوا: كان يتأدمُ بِجَبْنَةٍ عنده.

قال: أرونيها، فإذا فيها حَزُّ كالجداول من أثرِ مَسْحِ اللُّقْمَةِ. قال: ما هذه الحَزَّةُ؟

قالوا: كان لا يَقْطَعُ الجبنَ وإنما كان يَمَسِّحُ على ظَهْرِهِ؛ فَيَحْفِرُ كما تَرى.

قال: فهذا أهْلِكَنى، وبهذا أقعدنى هذا المَقْعَدُ. لو علمت ذلك ما صليتُ عليه.

قالوا: فأنت كيف تريدُ أن تصنعَ؟

قال: أضعها من بعيدٍ فأشيرُ إليها باللقمة.

البخلاء للجاحظ ص ١١٩

والقصة فى نهاية الأرب للنويرى مختصرة ج ٣ ص ٣٠٣ وكذا فى نثر الدر

للأبى ج ٣ ص ٢٨٧

(٦)

طعامٌ بكلام

وبينما الشيخُ الخراسانيُّ يأكلُ في بعضِ المواضعِ إذ مرَّ به رجلٌ
فسلَّم عليه، فردَّ السلامَ، ثم قال: هَلُمَّ عافاك اللهُ، فلما نظَرَ إلى
الرجلِ قد انثنى راجعاً يريد أن يطْفُرَ^(١) الجدولَ أو يُعدِّيَ النهرَ.

قال له: مكانك فإن العَجَلَةَ من عملِ الشيطانِ.

فوقفَ الرجلُ، فأقبلَ عليه الخراسانيُّ وقال: تريدُ ماذا؟

قال: أريدُ أن أتغذِّي.

قال: وكمَ ذاك؟ وكيفَ طَمِعْتَ في هذا؟ ومنَ أباحَ لك مالي؟

قال الرجلُ: أو كَيْسَ قَدْ دَعَوْتَنِي؟!

قال: ويلك لو ظننتَ أنك هكذا أحمقُ ما رَدَدْتُ عليك السلامَ
الآيين^(٢) فيما نحنُ فيه أن تكونَ إذا كنتُ أنا الجالسَ وأنتَ المارُّ أن
تبدأَ أنتَ فتُسلِّمَ، فأقولُ أنا حينئذٍ مُجيباً لك: وعليكم السلامُ.

فإن كنتَ لا آكلُ شيئاً، سكتُ أنا وسكتَ أنتَ ومَضَيْتَ أنتَ

(١) يطفر الجدول: أى يعدى من ضفة إلى أخرى.

(٢) الآيين: العادة والقانون والنظام كلمة فارسية.

وَقَعَدْتُ أَنَا عَلَى حَالِي . وَإِنْ كُنْتُ أَكُلُ فَهَاهُنَا آيِينَ آخِرُ ، هُوَ أَنْ أَبْدَأُ
أَنَا فَأَقُولُ : هَلُمَّ ، وَتَجِيبُ أَنْتَ فَتَقُولُ : هَنِيئًا ، فَيَكُونُ كَلَامٌ بِكَلَامٍ ؛
فَأَمَّا كَلَامٌ بِفَعَالٍ وَقَوْلٌ بِأَكْلِ فَهَذَا لَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ وَهَذَا يُخْرِجُ عَلَيْنَا
فَضْلًا كَبِيرًا .

قال : فَوَرَدَ عَلَى الرَّجُلِ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ .

فَشْهَرَ بِذَلِكَ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَقِيلَ لَهُ : قَدْ أُعْفِينَا مِنَ السَّلَامِ وَمَنْ
تَكَلَّفَ الرَّدَّ . قال : مَا بِي إِلَى ذَلِكَ حَاجَةٌ إِنَّمَا هُوَ أَنْ أُعْفِيَ أَنَا نَفْسِي
مِنْ هَلُمَّ وَقَدْ اسْتَقَامَ الْأَمْرُ .

البخلاء للجاحظ ص ٢٠

(٧)

تَوَارِثُ الطَّبَاعِ وَالْعَادَاتِ

وَحَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ : كُنْتُ فِي سَفَرٍ فَضَلَلْتُ الطَّرِيقَ ، فَرَأَيْتُ بَيْتًا فِي
الْفَلَاةِ فَأَتَيْتُهُ ، فَإِذَا بِهِ أَعْرَابِيَّةٌ ، فَلَمَّا رَأَتْني قَالَتْ : مَنْ تَكُونُ ؟ قُلْتُ :
ضَيْفٌ . قَالَتْ : أَهْلًا وَمَرْحَبًا بِالضَيْفِ أَنْزِلْ عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ، قَالَ :
فَنَزَلْتُ فَقَدَّمْتُ لِي طَعَامًا ؛ فَأَكَلْتُ ، وَمَاءٌ ؛ فَشَرِبْتُ . فَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ
إِذْ أَقْبَلَ صَاحِبُ الْبَيْتِ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَتْ ضَيْفٌ . فَقَالَ : لَا أَهْلًا وَلَا
مَرْحَبًا مَالَنَا وَلِلضَيْفِ فَلَمَّا سَمِعَتْ كَلَامَهُ رَكِبَتْ مِنْ سَاعَتِي وَسِرَّتُ .

فلما كان من الغد رأيت بيتًا في الفلاة فقصدته ، فإذا فيه أعرابية

فلما رأته قالت: من تكون؟ قلت: ضيفٌ قالت: لا أهلاً ولا
 مرحباً بالضيف مالناً وللضيف، فبينما هي تكلمني إذ أقبل صاحبُ
 البيت. فلما رآني قال: مَنْ هذا. قالت: ضيفٌ قال: مرحباً وأهلاً
 بالضيف، ثم أتى بطعامٍ حسنٍ؛ فأكلتُ، وماء؛ فشربتُ، فتذكرتُ ما
 مرَّ بي أمس فتبسمتُ، فقال: مِمَّ تبسمك؟ فقَصَصْتُ عليه ما اتفقَ
 لي مع تلك الأعرابية وبعَلها وما سمعتُ منه ومن زوجته، فقال: لا
 تعجب إن تلك الأعرابية التي رأيتها هي أختي وإن بعَلها أخو امرأتي
 هذه فغلب على كلِّ طَبَعٍ أهله.

المستطرف للأبشيهي ج ١ ص ١٨٩

(٨)

استوثق من عدم الأكل بالعهد والأيمان

قال العسكريُّ:

كان أحمدُ بنُ مَازَوِيَه الأهوَازي من أبخَلٍ مَنْ رأيتُ على شيءٍ من
 المأكولاتِ، وكان يَحْتَبِسُنِي للأكلِ فأجلسُ معه على الطعامِ ولا آكلُ
 كثيرَ شيءٍ، فاحتَبَسَنِي يوماً وعنده جماعةٌ فأكلوا وأكلَ، وجريتُ على
 عادتي في التنقيير وكان الطعامُ أرزاً جدي مشوي ولونين من أطرافه
 وسقطه، فلما فرغنا من ذلك أقبلَ غلامُهُ وعلى يده طيفورية^(١) فيها

(١) طيفورية: صحن كبير أو صينية.

الجَدِيُّ، فَأَقْبَلَ هُوَ عَلَيْنَا فَقَالَ: أَمَا أَنَا فَقَدْ شَبَعْتُ وَلَمْ يَبْقَ فِيَّ فَضْلٌ
فَمَا تَقُولُونَ أَنْتُمْ؟ فَقُلْتُ: أَمَا أَنَا فَقَدْ شَبَعْتُ، فَقَالَ الْجَمَاعَةُ كَقَوْلِي
قَالَ: فَجَعَلَ الْجَدِيُّ لَعْدًا وَنَآكِلَهُ مَبْرَدًا فَقُلْتُ: هَذَا هُوَ الصَّوَابُ،
فَقَالَ: مَا أَظْنُكُمْ إِلَّا وَفِيكُمْ فَضْلَةٌ لِلْأَكْلِ وَإِنَّمَا قُلْتُمْ قَدْ شَبَعْتُمْ مَسَاعِدَةً
لِي فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي مَا فِيَّ فَضْلٌ، فَقَالَ لِلَّذِي يَلِينِي: مَا
تَقُولُ؟ فَقَالَ: مَا فِيَّ فَضْلٌ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ شَبَعَانَ لَحَلَفْتُ كَمَا حَلَفَ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، فَحَلَفَ الرَّجُلُ أَنَّهُ شَبَعَانٌ. فَقَالَ لِلْآخِرِ الَّذِي إِلَى جَانِبِهِ
فَحَلَفَ فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَقْرِئُ وَاحِدًا، وَاحِدًا وَيَحْلِفُ أَنَّهُ شَبَعَانٌ. وَمَنْ لَمْ
يَحْلِفْ قَالَ لَهُ: لَوْ كُنْتُ شَبَعَانَ لَحَلَفْتُ فَيَحْلِفُ الرَّجُلُ، فَلَمَّا اسْتَوْثِقَ
مَنْ جَمَاعَتَنَا بِالْأَيْمَانِ وَتَلَجَّ صَدْرُهُ أَنَّهُ لَا حَيْلَةَ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْأَكْلِ
قَالَ: أَمَا أَنَا فَقَدْ تَبَعْتُ نَفْسِي أَكَلَ شَحْمَ كَلَاهُ حَارًّا فَقُلْنَا لَهُ: كُلْ
هَنَّاكَ اللَّهُ فَقَالَ: يَا غَلَامُ ضَعِ الطِّيفُورِيَّةَ فَتُرِكَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَكَلَ أَكْثَرَ
الْجَدِيِّ وَحَدَّهُ وَأَمَرَ بِرَفْعِ بَاقِيهِ وَحِفْظِهِ

البخلاء للخطيب البغدادي ص ١٤٣

(٩)

بُخْلُ أَهْلِ مَرُو

قَالَ أَصْحَابُنَا: يَقُولُ الْمَرْوَرِيُّ لِلزَّائِرِ إِذَا أَتَاهُ وَلِلْجَلِيسِ إِذَا طَالَ
جُلُوسُهُ تَغْدِيَتَ الْيَوْمِ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: لَوْلَا أَنَّكَ تَغْدِيَتَ لَعْدِيَّتِكَ

بِغَدَاءٍ طَيِّبٍ، وَإِنْ قَالَ: لَا، قَالَ: لَوْ كُنْتَ تَغَدَّيْتَ لَسَقَيْتُكَ خَمْسَةَ أَقْدَاحٍ فَلَا يَصِيرُ فِي يَدِهِ عَلَى الْوَجْهِينِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ . .

وقال أحمد بن رشيد كنت عند شيخ من أهل مرو وصبي صغير له يلعب بين يديه، فقلت له إماماً عاتباً وإماماً ممتحناً: أطعمني من خبزكم قال: لا تريده هو مرٌّ، فقلت: فأسقني من مائكم قال: لا تريده هو مالحٌ.

قلت: هات لي من كذا وكذا، قال: لا تريده هو كذا وكذا إلى أن عددت أصنافاً كثيرة كل ذلك يمنعني ويغضه إليّ، فضحك أبوه وقال: ما ذنبنا؟ هذا من علمه ما تسمع؟ يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطبيتهم.

البخلاء للجاحظ ص ١٣

(١٠)

لو خرجت من جلدك لم أعرفك

ومن أعاجيب أهل مرو ما سمعناه من مشيختنا على وجه الدهر وذلك إن رجلاً من أهل مرو كان لا يزال يحج ويتجر وينزل على رجل من أهل العراق فيكرمه ويكفيه مؤنته ثم كان كثيراً ما يقول لذلك العراقي: ليت أني قد رأيتك بمرو حتى أكافئك لقديم إحسانك وما تجدد لي من البر في كل قدمة، فأما ههنا فقد أغناك الله عني.

قال: فَعَرَضْتُ لِدَلِكِ الْعِرَاقِي بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ حَاجَةً فِي تِلْكَ
الناحية فكان مما هَوَّنَ عَلَيْهِ مُكَابِدَةَ السَّفَرِ وَوَحْشِيَةَ الْإِغْتِرَابِ مَكَانُ
الْمَرْوَزِيِّ هُنَاكَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَضَى نَحْوَهُ فِي ثِيَابِ سَفَرِهِ وَفِي عِمَامَتِهِ
وَقَلَنْسُوتِهِ وَكِسَائِهِ لِيَحُطَّ رِجْلُهُ عِنْدَهُ كَمَا يَصْنَعُ الرَّجُلُ بِثِقَتِهِ وَمَوْضِعِ
أَنْسِهِ، فَلَمَّا وَجَدَهُ قَاعِدًا فِي أَصْحَابِهِ أَكْبَرَ عَلَيْهِ وَعَانَقَهُ فَلَمْ يَرَهُ أَثْبَتًا
وَلَا سَأَلَ بِهِ سُؤَالَ مَنْ رَأَى قَطُّ. قَالَ الْعِرَاقِي فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ إِنْكَارَهُ
إِيَّايَ لِمَكَانِ الْقِنَاعِ فَرَمَى بِقِنَاعِهِ وَابْتَدَأَ مُسَاءَلَتَهُ فَوَجَدَهُ أَشَدَّ مَا كَانَ
إِنْكَارًا قَالَ: فَلَعَلَّهُ إِذَا أُتِيَ مِنْ قَبْلِ الْعِمَامَةِ فَزَعَهَا ثُمَّ انْتَسَبَ وَجَدَّ
مُسَاءَلَتَهُ فَوَجَدَهُ أَشَدَّ مَا كَانَ إِِنْكَارًا قَالَ: فَلَعَلَّهُ إِذَا أُتِيَ مِنْ قَبْلِ
الْقَلَنْسُوتِ وَعَلِمَ الْمَرْوَزِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُتَغَابِلُ وَالْمُتَجَاهِلُ
فَقَالَ: لَوْ خَرَجْتَ مِنْ جِلْدِكَ لَمْ أَعْرِفَكَ.

البخلاء للجاحظ ص ١٧

(١١)

محفوظ النقاش

صحبني محفوظُ النقاشِ من مسجد الجامع ليلاً فلما صرْتُ قُرْبَ
منزله وَكَانَ مَنْزِلُهُ أَقْرَبَ إِلَى مَسْجِدِ الْجَامِعِ مِنْ مَنْزِلِي، سَأَلَنِي أَنْ
أَبِيْتَهُ عِنْدَهُ وَقَالَ: أَيُّنْ تَذْهَبُ فِي هَذَا الْمَطَرِ وَالْبَرْدِ وَمَنْزِلِي مَنْزِلُكَ
وَأَنْتِ فِي ظُلْمَةٍ وَلَيْسَ مَعَكَ نَارٌ وَعِنْدِي لَبَأٌ^(١) لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ وَتَمُرُّ

(١) لبأ. أول اللبن بعد الولادة.

ناهيك به جودة لا تصلح إلا له فملت معه فأبطأ ساعة، ثم جاءني
بجأم لبيا وطبق تمر فلما مددت قال: يا أبا عثمان إنه لبأ وغلظه،
وهو الليل وركوده، ثم ليلة مطر ورطوبة وأنت رجل قد طعنت في
السن ولم تزل تشكو من الفالج طرقا، وما زال الغليل يسرع إليك
وأنت في الأصل لست بصاحب عشاء فإن أكلت اللبأ ولم تبالغ كنت
لا أكلاً ولا تاركاً وحرشت طباعك ثم قطعت الأكل أشهى ما يكون
إليك، وإن بالغت بتنا في ليلة سوء من الاهتمام بأمرك ولم نعد لك
نيذاً ولا عسلاً، وإنما قلت هذا الكلام لئلا تقول غداً: كان وكان
والله قد وقعت بين نأبي الأسد لأنى لو لم أجنك به وقد ذكرته لك
قلت: بخل به وبدأ له فيه، وإن جننت به ولم أهدرك ولم أذكرك كل
ما عليك فيه قلت: لم يشفق على ولم ينصح فقد برئت إليك من
الأمرين جميعاً فإن شئت فأكله وموته وإن شئت فبعض الاحتمال
ونوم على سلامة.

فما ضحكت قط كضحكى تلك الليلة ولقد أكلته جميعاً فما
هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور فيما أظن ولو كان معى من
يفهم طيب ما تكلم به لآتى على الضحك أو لقضى على ولكن
ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب.

البخلاء للجاحظ ص ١١١

(١٢)

فلسفة البخل

وقلت للحزامي مرة: قد رضيت أن يُقال: عبدُ الله بخیلٌ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم.

قلت: وكيف؟

قال: لا يُقالُ فلانٌ إلا وهو ذو مالٍ فسَلِّمُ إلى المالِ وادعني بأى اسمٍ شئتَ قلت: ولا يقالُ فلانٌ سَخِيٌّ إلا وهو ذو مالٍ فقد جمعَ هذا الاسمَ الحمدَ والمالَ واسمُ البخلِ يجمعُ المالَ والذمَّ، فقد اخترتَ أحسَّهما وأوضَعَهُما

قال: وبينهما فرقٌ.

قلت: فهاته.

قال: في قولهم بخیلٌ تثبیتٌ لإقامةٍ في ملكه، وفي قولهم سَخِيٌّ إخبارٌ عن خُرُوجِ المالِ من ملكه، واسمُ البخیلِ اسمٌ فيه حفظٌ وذمٌّ واسمُ السخیِ اسمٌ فيه تَضْيِيعٌ وحمْدٌ، والمالُ زاهرٌ نافعٌ مكرمٌ لأهله مفرٌ والحمدُ ريحٌ وسُخْرِيَّةٌ واستماعك له ضَعْفٌ وفُسُولَةٌ^(١) وما أقلُّ

(١) فسولة. نذاله وخسة.

غَنَاءَ الْحَمْدِ - وَاللَّهِ - عِنْدَ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ وَعَرِيَ جِلْدُهُ وَضَاعَ عِيَالُهُ
وَسُمِّتَ بِهِ مَنْ كَانَ يَحْسُدُهُ .

البخلاء للجاحظ ص ٥٥

(١٣)

تَحذِيرٌ مِنْ بَخِيلٍ

حدثني أبو عبد الله محمد بن فتوح الأندلسي قال: كتب بعض
الأدباء إلى بعض إخوانه يُشاورُهُ في قَصْدِ بعضِ الرؤساءِ تأمِيلاً له
وَاسْتِدْعَاءً لِنَائِلِهِ وَكَانَ مَعْرُوفًا بِالْبَخْلِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ. كَتَبْتُ إِلَيْكَ تَسْأَلُنِي عَنْ فُلَانٍ وَذَكَرْتَ أَنَّكَ هَمَمْتَ بِزِيَارَتِهِ
وَحَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ فَلَا تَفْعَلْ - أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ - فَإِنَّ حُسْنَ
الظَّنِّ بِهِ لَا يَقَعُ إِلَّا بِخُذْلَانٍ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ الطَّمَعُ فِيمَا عِنْدَهُ لَا يَخْطُرُ
عَلَى الْقُلُوبِ إِلَّا مِنْ سُوءِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَالرَّجَاءُ لِمَا فِي يَدَيْهِ لَا
يَنْبَغِي إِلَّا بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ لِأَنَّهُ رَجُلٌ يَرَى التَّقْتِيرَ الَّذِي نَهَى
اللَّهُ عَنْهُ هُوَ التَّبذِيرُ الَّذِي يُعَاقِبُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ الْاِقْتِصَادَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
هُوَ الْإِسْرَافُ الَّذِي يَعَذِّبُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَسْتَبَدِلُوا الْعَدَسَ
بِالْمُنِّ وَالْبَصَلَ بِالسُّلُوبِ إِلَّا لِفَضْلِ أَحْلَامِهِمْ وَقَدِيمِ عِلْمِ تَوَارُثِهِ عَنْ
آبَائِهِمْ، وَأَنَّ الضِّيَافَةَ مَدْفُوعَةٌ وَالْهَبَةَ مَكْرُوهَةٌ وَأَنَّ الصَّدَقَةَ مَنْسُوخَةٌ
وَأَنَّ التَّوَسُّعَ ضَلَالَةٌ وَالْجُودَ فِسْقٌ وَالسَّخَاءَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . . .

وهل يَخْشَى العِقَابَ إلا على الإنفاقِ ويرجو العَفْوَ إلا على
الإمساكِ وَيَعِدُ نَفْسَهُ بالفقر ويأمرُها بالبخلِ خِيفَةَ أن تنزلَ به قَوَارِعُ
الظالمين ويصيبُهُ ما أصاب الأولين . فأقم - رحمك الله - بمكانك
واصبرْ على عَضِّ زَمَانِكَ وامضِ على عُسْرَتِكَ عسى الله أن يُبدِلَ لك
خيرًا منه زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا .

البخلاء لخطيب البغدادي ص ٩٩

(١٤)

حيلة بخيل

كان زيادُ بنُ عبيد الله الحارثي واليًا على المدينة وكان فيه بُخْلٌ
وجَفَاءٌ، فَأَهْدَى إليه كاتبٌ له سِلَالًا فيها أَطْعَمَةٌ وقد تَنَوَّقَ فيها فَوَافَتْهُ
وقد تَغَدَى فقال: ما هذه؟ قالوا: غَدَاءٌ بعثه فلانُ الكاتب فغضب
وقال: يَبْعَثُ أَحَدُهُم الشَّيْءَ في غيرِ وقتِه - يا خَيْثَمُ بن مالك يريدُ
صَاحِبَ شُرْطَتِهِ، ادْعُ لِي أَهْلَ الصُّفَّةِ يَأْكُلُونَ هذا فبعث خيثمُ الحرسَ
يدعونهم فقال الرسولُ الذي جاءَ بالسلال: أصْلِحَ اللهُ الأَمِيرَ لو
أمرت بهذه السلالِ تُفْتَحُ وَيُنْظَرُ ما فيها .

قال: اكشِفُوها؛ فإذا طعامٌ حَسَنٌ من دَجَاجٍ وفِرَاحٍ وجَدَاءٍ وَسَمَكٍ

وَأَخْبَصَةَ وَحَلَّوَاءَ فَقَالَ: ارفعوا هذه السلالَ وجاء أهلُ الصُّفَّةِ فَأُخْبِرَ
بِهِمْ فَأَمَرَ بِأَحْضَارِهِمْ وَقَالَ: يَا خَيْثَمُ اضْرِبْهُمْ عَشْرَةَ أَسْوَاطٍ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي
أَنَّهُمْ يَفْسُونُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

نهاية الأرب للنويرى ج ٣ ص ٣٠٥

وانظر أيضا: العقد الفريد

لابن عبد ربه ج ٧ ص ١٧٢

ونثر الدرُّ للأبى ج ٣ ص ٢٩٤

(١٥)

لَا يَمْتَدُّ إِلَى أَمَلٍ أَمِلٌ

ومن رؤساء أهلِ البُخْلِ محمدُ بنُ الجهم وهو الذى قال: وَدَدْتُ
أَنَّ عَشْرَةَ مِنْ الْفُقَهَاءِ وَعَشْرَةَ مِنْ الشُّعْرَاءِ وَعَشْرَةَ مِنْ الْخَطَبَاءِ وَعَشْرَةَ
مِنِ الْأَدْبَاءِ تَوَاطَئُوا عَلَى ذِمِّي وَاسْتَهَلُّوا بِشَتْمِي حَتَّى يُنْشَرَ ذَلِكَ عَنْهُمْ
فِي الْأَفَاقِ حَتَّى لَا يَمْتَدَّ إِلَى أَمَلٍ أَمِلٍ وَلَا يَنْبَسِطَ نَحْوِي رَجَاءُ رَاجٍ .

وقال له أصحابه: إِنَّمَا نَخْشَى أَنْ نَقْعُدَ عِنْدَكَ فَوْقَ مِقْدَارِ شَهْوَتِكَ
فَلَوْ جَعَلْتَ لَنَا عِلَامَةً نَعْرِفُ بِهَا وَقْتَ اسْتِحْسَانِكَ قِيَامَنَا .

قال: عِلَامَةُ ذَلِكَ أَنْ أَقُولَ: يَا غَلَامُ هَاتِ الْغَدَاءَ

العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٧ ص ١٦٩ .

(١٦)

البخيل وأولاده

قال رجلٌ من الأعرابِ لولده: اشترُوا لي لحمًا. فاشتروه فطَبَّخَهُ حتى تَهَرَّى وأكلَ منه حتى انتهتَ نفسه وشُرعتْ إليه عيونٌ ولده فقال: ما أنا بِمُطْعِمِهِ أحدًا منكم إلا من أحسنَ وَصَفَ أَكْلَهُ.

فقال الأكبرُ منهم: أَكَلُهُ يا أبتِ حتى لا أدعَ لِذرةٍ فيه مَقِيلًا.

قال: لستَ بِصاحبِهِ.

فقال الآخرُ: أَكَلُهُ حتى لا يُدرى ألعامِهِ هو أم لعامِ أوَّلِ.

قال: لستَ بِصاحبِهِ.

فقال الأصغرُ: أدقُّهُ يا أبتِ دقًّا وأجعلُ إدامَهُ المُنخَّ.

قال: أنتَ صاحبُهُ هو لك.

عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ٢٣٥.

(١٧)

الطعام والسجن

مرَّ مسكينٌ بأبي الأسودِ ليلاً وهو يُنادى: أنا جائعٌ فأدخِلهُ وأطعمهُ حتى شَبِعَ ثم قال له انصَرِفْ إلى أهليكَ وأتبعهُ غلامًا وقال له: إن

سَمِعْتَهُ يَسْأَلُ فَارِدُهُ إِلَى . فَلَمَّا جَاوَزَهُ الْمَسْكِينُ سَأَلَ كِعَادَتَهُ فَتَشَبَّثَ بِهِ
الْغَلَامُ وَرَدَّهُ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ فَقَالَ : أَلَمْ تَشْبِعْ ؟ فَقَالَ : بَلَى

قَالَ : فَمَا سُؤَالُكَ ؟ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ فِي بَيْتٍ وَأُغْلِقَ عَلَيْهِ الْبَابُ
وَقَالَ : لَا تُرَوِّعْ مُسْلِمًا سَائِرَ اللَّيْلِ وَلَا تَكْذِبْ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَلَّى سَبِيلَهُ
وَقَالَ : لَوْ أَطَعْنَا السُّؤَالَ صِرْنَا مِثْلَهُمْ .

وَسَمِعَ دَابَّةً تَعْتَلِفُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ : إِنِّي لِأُرَاكَ تَسْهَرِينَ فِي
مَالِي وَالنَّاسُ نِيَامٌ وَاللَّهُ لَا تُصْبِحِينَ عِنْدِي وَبَاعَهَا .

الإمتاع والمؤانسة ج ٣ ص ٣٣

(١٨)

إِسْتَحَى فَأَكَلَ

ضَمَّ عَثْمَانَ بْنَ رَوَاحِ السَّفَرُ وَرَفِيقًا لَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّفِيقُ : اِمْضِ إِلَى
السُّوقِ فَاشْتَرِ لَنَا لَحْمًا .

قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَقْدِرُ .

قَالَ : فَمَضَى الرَّفِيقُ وَاشْتَرَى اللَّحْمَ .

ثُمَّ قَالَ لِعَثْمَانَ : قُمْ الْآنَ فَاطْبُخِ الْقِدْرَ .

قال: والله ما أقدرُ فطَبَخَهَا الرقيقُ.

ثم قال: قُمْ الْآنَ فَاتْرُدْ.

قال: والله إنى لأعجزُ عن ذلك فَتَرَدَّ الرقيقُ.

ثم قال: قُمْ الْآنَ فَكُلْ.

فقال: والله لقد استحييتُ من كَثْرَةِ خِلَافِي عَلَيْكَ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا فَعَلْتُ.

الإمتاع والمؤانسة ج ٣ ص ٤٠.

(١٩)

أموت ولا اتقيأ

حدثنا نَاجِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا بِالْبَصْرَةِ رَجُلٌ مَيْسَرٌ وَكَانَ بَخِيلًا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى عِيَالِهِ فَدَعَاهُ بَعْضُ جِيرَانِهِ فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَبَاهِجَةً^(١) بَيْضٌ فَأَكَلَ فَأَكْثَرَ، وَجَعَلَ يَشْرَبُ الْمَاءَ فَانْتَفَخَ بَطْنُهُ وَنَزَلَ بِهِ الْكَرْبُ وَالْمَوْتُ فَجَعَلَ يَتَلَوَّى، فَلَمَّا أَجْهَدَهُ الْأَمْرُ وَخَافَ

(١) طباهجة: طعام من بيض وبصل ولحم.

الموتَ على نفسه بعثَ إلى جَار له مُتَطَبِّبٍ فدخَلَ عليه فقال: ما حَالُكَ؟ قال: أَكَلْتُ طَبَاهِجَةَ بِيضٍ وشَرِبْتُ ماءً كَثِيرًا وقد نَزَلَ بِي الموتُ فقال: لا بَأْسَ عَلَيْكَ قُمْ فَتَقِيًّا ما أَكَلْتَ وقد بَرِئْتَ.

فقال: هَاهُ أَتَقِيًّا طَبَاهِجَةَ بِيضٍ؟ أَمُوتُ ولا أَتَقِيًّا طَبَاهِجَةَ بِيضٍ أَبَدًا.

البخلاء للخطيب البغدادي ص ٧١.

(٢٠)

لا تمس الدرهم إلا بثوب

قال محمد بن أبي المعافى: كان أبي متنحياً عن المدينة وكانت إلى جنبه مزرعة فيها قثاءٌ وكنتُ صبياً قد ترعرعتُ فجاءني من جيراننا أقرانٌ لي وكلمتُ أبي ليهبَ لي درهماً أشتري لهم به قثاءً فقال لي: أتعرفُ حالَ الدرهم؟ كان في حجرٍ في جبلٍ فضربَ بالمعاولِ حتى استخرجَ ثم طحنَ، ثم أدخلَ القدورَ وصَبَّ عليه الماءُ وجمعَ بالزُبُقِ، ثم أدخلَ النارَ فسبَّكَ، ثم أخرجَ فضربَ، وكُتِبَ في أحدِ شِقِيهِ لا إلهَ إلا اللهُ وفي الآخرِ محمدٌ رسولُ اللهُ، ثم صيرَ إلى أميرِ المؤمنينَ فأمرَ بإدخالِهِ بَيْتِ مَالِهِ ووَكَّلَ به عُوَجَ القَلَانِسِ صُهْباً

السبّال، ثم وهبهُ لجارية حسناء جميلة، وأنت والله أقبحُ من قرد، أو رزقه رجلاً شجاعاً وأنت والله أجبنُ من صافِرٍ فهل ينبغي لك أن تمسَّ الدرهم إلا بثوب.

نثر الدرّ للآبي ج ٣ ص ٢٩٣

ونهاية الأرب للنويري ج ٣ ص ٣٠٢

(٢١)

فوائد الرعوس

كان مروانُ بنُ أبي حفصة لا يأكلُ اللحمَ بخلاً حتى يقرم^(١) إليه، فإذا قرمَ أرسلَ غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له: نراك لا تأكلُ إلا الرعوسَ في الصيفِ والشتاءِ فلم تختارُ ذلك؟ فقال: نعم الرأسُ أعرفُ سعره فأمن خيانةَ الغلامِ ولا يستطيعُ أن يغيبني فيه وليس بلحمٍ يطبخه الغلامُ، فيقدرُ أن يأكلَ منه، إن مسَّ عينا أو أذنا أو خدّاً، وقفتُ على ذلك، وأكلُ منه ألواناً أكلُ عينه لوئاً وأذنيه لوئاً

(١) يقرم إليه. يشتهي اللحم بشدة.

وغلصمته^(١) لونا ودماعه لونا وأكفى مؤونة طبخه فقد اجتمعت لى
فيه مرأفق.

البخلاء للخطيب البغدادي ص ٨١

والأغانى للأصبهاني ج ١٠ ص ٧٧

وانظر قصة مشابهة لذلك

فى بخلاء الجاحظ ص ٩٥

- ٢٢ -

يَتَجَمَّلُ بِالْعِظَامِ أَمَامَ دَارِهِ

قال عمرو بن ميمون: مررت ببعض طرُق الكوفة فإذا أنا برجلٍ
يُخَاصِمُ جَارًا لَهُ فَقُلْتُ: مَا بِالْكُفَّاءِ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّ صَدِيقًا لِي
زَارَنِي وَاشْتَهَى عَلِيَّ رَأْسًا فَاشْتَرَيْتُهُ لَهُ وَتَغَدَيْتُنَا، فَأَخَذْتُ عِظَامَهُ
فَوَضَعْتُهَا أَمَامَ دَارِي أَتَجَمَّلُ بِهَا عِنْدَ جِيرَانِي، فَجَاءَ هَذَا وَأَخَذَهَا
وَوَضَعَهَا عَلَى بَابِ دَارِهِ يُوهِمُ النَّاسَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَكَلَ الرَّأْسَ.

العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٧ ص ٢٨٣

وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ٢٨٣

وانظر أيضا نثر الدر للأبي ج ٣ ص ٢٨٢.

(١) الغلصمة: اللحم بين الرأس والعنق.

(٢٣)

يَأْكُلُ فِي مُتْتَصِفِ اللَّيْلِ

كان بعضُ البخلاء يَأْكُلُ نَصْفَ اللَّيْلِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: يَبْرُدُ
الْمَاءُ وَيَنْقَمِعُ الذَّبَابُ وَأَمَّنُ فَجَاءَ الدَّخِيلُ وَصَرَخَةَ السَّائِلِ وَصِيَّاحَ
الصَّبِيَّانِ.

نثر الدر للأبي ج ٣ ص ٢٨٥

وانظر نهاية الأرب للنويري ج ٣ ص ٣٢٨.

(٢٤)

يَقْلِبُ صَبِيَّانَهُ وَهَمَّ نِيَامَ

وقال بعضهم: بَتُّ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ الْمُؤَسِّرِينَ، وَهُوَ
صَبِيَّانٌ نِيَامٌ فَرَأَيْتُهُ فِي اللَّيْلِ يَقُومُ فَيَقْلِبُهُمْ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ، فَلَمَّا
أَصْبَحْنَا سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانُ يَأْكُلُونَ وَيَنَامُونَ عَلَى
الْيَسَارِ فَيُمْرِيهِمُ الطَّعَامُ وَيُصْبِحُونَ جِيَاعًا، فَأَنَا أَقْلِبُهُمْ مِنَ الْيَسَارِ إِلَى
الْيَمِينِ لئَلَّا يَنْهَظِمَ مَا أَكَلُوهُ سَرِيعًا.

نهاية الأرب للنويري ج ٣ ص ٣٠٥

وانظر: نثر الدار للأبي ج ٣ ص ٢٧٩.

(٢٥)

أَجْهَرُوا عَلَى الْجَرْحَى

ودخلتُ يوماً على عبد الله بن يحيى بن خالد والمائدةُ موضوعةٌ والقَوْمُ يَأْكُلُونَ، وقد رَفَعَ بَعْضُهُمْ يَدَهُ فَمَدَدَتْ يَدِي لِأَكْلٍ فَقَالَ: أَجْهَرُ عَلَى الْجَرْحَى وَلَا تَتَّعَرَّضُ لِلْأَصِحَاءِ يَقُولُ: تَعَرَّضُ لِلدَّجَاجَةِ الَّتِي قَدْ نَيْلَ مِنْهَا وَالْفَرُخَ الْمَأْخُودَ مِنْهُ فَأَمَّا الصَّحِيحُ فَلَا تَتَّعَرَّضُ لَهُ، هَذَا مَعْنَاهُ فِي الْجَرْحَى وَالْأَصِحَاءِ.

العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٧ ص ١٧٣

وانظر: عيون الأخبار ج ٣ ص ٢٧٣

وأصل القصة في بخلاء الجاحظ ص ٣٧

(٢٦)

أَصْلَى رَكْعَتَيْنِ بَيْنَ لُقْمَةٍ وَأُخْرَى

قال بعضهم لبخيل: لِمَ لَا تَدْعُونِي يَوْمًا؟
قال: لَأَنَّكَ جَيِّدُ الْمَضْغِ سَرِيعُ الْبَلْعِ إِذَا أَكَلْتَ لُقْمَةً هَيَّأَتْ أُخْرَى.

قال: فَتُرِيدُ مِنِّي إِذَا أَكَلْتُ لُقْمَةً أَنْ أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَعُودَ إِلَى
الثانية؟

نشر الدر للآبي ج ٣ ص ٢٧٥.

(٢٧)

المصباح

وَرَعَمَ أَصْحَابُنَا أَنْ الْخُرَّاسَانِيَّةَ تَرَفَّقُوا فِي مَنْزِلٍ وَصَبَّروا عَنِ
الارتفاقِ بِالمصباحِ مَا أَمَكْنَ الصَّبْرُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ تَنَاهَرُوا وَتَخَارَجُوا، وَأَبَى
وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُعِينَهُمْ وَأَنْ يَدْخُلَ فِي الْغُرْمِ مَعَهُمْ، فَكَانُوا إِذَا جَاءَ
المصباحُ شَدُّوا عَيْنَهُ بِمَنْدِيلٍ وَلَا يَزَالُ وَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَنَامُوا
وَيُطْفِئُوا المصباحَ فَإِذَا أَطْفِئُوهُ أَطْلَقُوا عَيْنَهُ.

البخلاء للجاحظ ص ١٤

وانظر نشر الدر للآبي ص ٢٨٢

(٢٨)

الوحدة

قال أبو نواس: كان معنا في السفينة - ونحن نريدُ بغدادَ - رجلٌ
من أهل خراسان وكان من عُقلائِهِمْ وَفُقَهائِهِمْ فَكَانَ يَأْكُلُ وَحْدَهُ
فقلت له: تَأْكُلُ وَحْدَكَ؟

قال: ليس علىّ في هذا الموضع مسألة، إنما المسألة على من أكلَ مع الجماعة لأن ذلك هو التَّكْلُفُ وأَكْلِي وَحْدِي هو الأَصْلُ وأَكْلِي مع غَيْرِي زِيَادَةٌ في الأَصْلِ.

البخلاء للجاحظ ص ١٩

(٢٩)

أغلق الباب وأتِ بالطعام

قال رجل من البخلاء لغلامه:

هَاتِ الطَّعَامَ وَأَغْلِقِ البَابَ.

فقال: هذا خطأ بل أغلق الباب وأتِ بالطعام.

قال: أنت حرٌّ لِعِلْمِكَ بِالْحَزْمِ.

البخلاء للخطيب البغدادي ص ٨٤

وانظر نثر الدر للأبي ج ٣ ص ٢٨٨

(٣٠)

أصوم الاثنين والخميس

قال رجلٌ لـغلامٍ: بكم تعمل معي؟

قال: بطعامي.

قال له: أحسن قليلاً.

قال: فأصوم الاثنين والخميس.

نشر الدر للآبي ج ٣ ص ٢٨٣

(٣١)

أقصوصة شعرية

صديقٌ لنا من أبرع الناس في البخلِ
دعاني كما يدعو الصديقُ صديقهُ
فلما دنونا للطعام رأيتُهُ
ويغتاظُ أحياناً ويشتمُ عبدهُ
أمدُّ يداً سراً لأخذ لُقمةً
وأفضلهم فيه وليس بذى فضلِ
فجئتُ كما يأتي إلى مثله مثلي
يرى أنه من بعض أعضائه أكلِي
وأعلمُ أن الغيظَ والشتَمَ من أجلى
فيلحظني شزراً فأعبثُ بالبقْلِ

إلى أن جنتُ كفى لِحِينِي جَنَائَةَ
وأهوتُ يميني نحوَ رِجْلِ دَجَاجَةِ
وقدمَ من بعد الطعامِ حَلَاوَةً
فلو أنني قد كُنتُ بِتِ بَيْتِهِ
وذلك أن الجوعَ أَعْدَمَنِي عَقْلِي
فَجُرَّتْ كَمَا جَرَّتْ يَدِي رِجْلَهَا رِجْلِي
فلم أستطعُ فيها أمرٌ ولا أُحْلِي
رَبِحْتُ ثَوَابَ الصَّوْمِ مَعَ عَدَمِ الأَكْلِ

البخلاء للخطيب البغدادي ص ١٧٨

وانظر: نهاية الأرب للنويري ج ٣ ص ٣١٣.

القسم الثاني الدراسة

(١)

البخل فى الكتاب والسنة

البخل من الصفات المذمومة القبيحة فى كل الشرائع والأديان وعند كل الأمم فى مختلف العصور والأزمان.

فقد نهى القرآن الكريم عن البخل والشح وحث على الكرم والجود والسخاء، وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة تحذر من البخل وتنفر منه وتصور البخيل فى أبشع صورة وأقبح مقال، وما ذلك إلا لأن البخيل ضعيف الإيمان بالله والاتكال عليه، يُغلبُ سوء الظن والخوف من الفقر على السماحة والرضا والقناعة والإيمان بالتكافل الاجتماعى، ولذلك فالبخيل منبوذ من الناس مذموم على ألسنتهم ومهما جمع من المال وكثر فإن ذلك لا يزيد من قيمته الاجتماعية ولا من تفاعله مع المجتمع وإحساسه بحال الفقراء المساكين المحتاجين إلى البذل والعطاء.

(٢)

البخل فى التراث العربى

وقد حفل التراث العربى منذ العصر الجاهلى وعلى امتداد التاريخ بالنصوص الشعرية والنثرية التى تهاجم البخل والبخلاء وترسم لهم

صوراً بشعة وتروى عن بخلهم وتقتيرهم العجائب والغرائب، وفي مقابل ذلك ترسم صورة مشرقة جميلة لأهل الكرم والبذل والعطاء.

وقد تعددت مجالات الحديث عن البخل والبخلاء في الشعر والنثر ففي الشعر نجد باب الهجاء من أوسع أبواب الشعر العربي وأحفلها بالحديث عن البخيل، لأن صفة البخل من أحقر الصفات وأكثرها دوراً على ألسنة شعراء الهجاء.

وفي باب المديح نجد الحديث عن الكرم في مقابل البخل، وأحياناً يتطرق المادح إلى نفي صفة البخل عن الممدوح، وكذلك في باب الرثاء يكثر الشعراء من نفي صفة البخل وإثبات صفة الكرم والجود للميت.

وفي باب الوصف نجد الشعراء قد تفننوا في وصف البخلاء وتصويرهم في أبشع صورة مما يؤدي إلى تنفير الناس من هذا الخلق الذميم، بل إن بعض الشعراء قد رسم للبخلاء صوراً ساخرة أقرب ما تكون إلى فن (الكاريكاتور) المعاصر.

وفي النثر العربي حديث واسع جميل عن البخل والبخلاء يتجلى ذلك في الرسائل والمقامات والحكايات والمؤلفات..

فالتحذير من البخل مادة من مواد فن الرسائل الأدبية، وشخصية البخيل ورسم حركاته وسكناته وحيله وشخصيته المتلهفة على المادة موجودة في (فن المقامات) بشكل واضح جلي وبخاصة عند بديع الزمان والحريري.

وفى باب (الحكايات) وأحاديث السمر نجد الحديث متشعباً عن
البخل والبخلاء، كما أن المؤلفات التى تحدثت عن البخل والبخلاء
كثيرة جداً فى التراث العربى سواء أكان ذلك ضمن أبواب الأدب
العامّة أم عن طريق أفراد أبواب وفصول للحديث عن البخلاء أو
الحديث عن (الطعام) وآداب المؤاكلة.
كما أن هناك الكتب المفردة عن البخل والبخلاء.

(٣)

البخل فى الأدب العربى الحديث

ولم يتوقف الأدباء العرب عن الحديث عن البخل والبخلاء، بل
امتد ذلك إلى العصر الحديث، فنجد الشعراء المعاصرين يرسمون
صورة البخيل فى شعرهم، وربما ارتبطت صورته بصورة (المرابى)
ومصاصى دماء الفقراء، كما أن كتاب النثر الفنى قد استمروا فى
الحديث عن البخلاء وتصوير مظاهر بخلهم ومضاره.

وشاركت الفنون الأدبية الحديثة كالأقصوصة والقصة والمسرحية
والتمثيلية الإذاعية والتلفازية فى التحذير من البخل ورسم صورة أدبية
منفردة للبخيل.

(٤)

البخل فى الآداب العالمية

ويبدو أن صورة البخيل إنما هى نموذج إنسانى عام تحدثت عنه كل الآداب العالمية القديمة كاليونانية والرومانية، والآداب الحديثة كالإنجليزية والفرنسية والأسبانية والروسية مما يفتح مجالاً خصباً لدراسات أدبية مقارنة لصورة البخيل فى الأدب العربى وتلك الآداب العالمية، وأعتقد أن فى أدبنا العربى على امتداد عصوره وتنوع فنونه مادة أدبية عن البخل تضع الأدب العربى - عند المقارنة بالآداب العالمية الأخرى - فى مكانة رفيعة، ويكفى الأدب العربى فخراً فى هذا المجال كتاب (البخلاء) للجاحظ.

(٥)

عرض لأشهر المؤلفات فى البخل والبخلاء

ونعود إلى حركة التأليف عن البخل والبخلاء فى التراث العربى لنجدها قد بدأت بأحاديث وحكايات وروايات جمعها الأصمعى وأبو عبيدة وغيرهما من رواة الشعر والأخبار، ووردت مشتتة لكنها هى النواة الأولى لأخبار البخلاء وقصصهم.

ثم جاء أبو عثمان الجاحظ فألف كتابه العظيم (البخلاء) فكان فتحاً عظيماً في هذا الميدان، بل إن ما جاء بعده عجز عن مجاراته، بل التفوق عليه ونستطيع أن نقول إن التأليف عن البخلاء قد ولد متكاملأ في أحسن صورة وأعظم تعبير على يد الجاحظ في كتاب (البخلاء).

ثم جاء بعد الجاحظ مجموعة من المؤلفين العرب تحدثوا عن البخلاء ضمن الكتب الأدبية العامة، فابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) يفرد في كتابه (عيون الأخبار) باباً أو كما يسميه كتاباً (للطعام) وفيه حكايات وأحاديث وأشعار عن البخل والبخلاء، وكذلك يفعل أبو حيان التوحيدي في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) وابن عبد ربه الأندلسي حيث نخص (أخبار البخلاء) بحديث طويل، وكذلك فعل أبو منصور الأبي (٤٢١ هـ) في كتابه الكبير (نثر الدر) وشهاب الدين النويري (٦٧٧ - ٧٣٣ هـ) في كتابه الموسوعي (نهاية الأرب) والأبشيهي (٧٩٠ - ٨٥٠ هـ) في كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف) وغير هؤلاء كثير بحيث لا يخلو كتاب من كتب الأدب العامة من حديث عن البخلاء.

ولا بد لنا من وقفة خاصة أمام من خص البخلاء بكتاب مستقل بعد الجاحظ وهنا نصل إلى الخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ) العالم المحدث المؤرخ صاحب الكتاب الموسوعي الكبير (تاريخ بغداد)

فنجده يؤلف كتابا بعنوان (البخلاء) كما فعل الجاحظ، ويخصصه للحديث عن هذه الطائفة وقد قسمه إلى ستة أجزاء صغيرة أورد فيها الآيات والأحاديث والآثار التي وردت في ذم البخل والشح والدعوة إلى البذل والعطاء والكرم، ثم أورد أشعاراً كثيرة وحكايات وقصصاً متنوعة عن البخل والبخلاء.

والكتاب نفيس في بابه، وتأثره بالجاحظ واضح جلي، يتضح ذلك في إيراده لعدد من القصص الواردة في كتاب البخلاء، بل وتصريحه بالنقل عن الجاحظ في مواضع مختلفة، وهذا التأثير لا يعنى التوافق التام فعقلية الرجلين مختلفة وأساليبها متباينة، فالجاحظ كتب كتابه بعقلية الأديب الفنان وكتب الإمام الخطيب البغدادي كتابه بعقلية العالم المحدث المؤرخ الثبت. وقد دعانى ذلك التشابه وذلك الاختلاف إلى كتابة بحث طويل عن الكتابين باسم (البخلاء بين الجاحظ والخطيب).

وجاء بعد الخطيب البغدادي عالم آخر ألف كتاباً عن البخل والكرم بعنوان (إتحاف النبلاء بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء) هو الفقيه الحنبلي جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي الصالحى الدمشقى (٩٠٩ هـ) وهو كتاب صغير لا يرقى إلى مستوى كتاب الخطيب البغدادي ولا إلى مستوى كتاب الجاحظ لكنه يضم أشعاراً وقصصاً وتحليلات لغوية.

(٦)

أسس اختيار النصوص

لا أريد أن أطيل في الوقوف عند المؤلفات والمؤلفين والتاريخ للتأليف عن البخل ولا عند خصائص كل كتاب في الموضوع وبخاصة بخلاء الجاحظ، الذي كتب عنه أكثر من كتاب ورسالة جامعية حتى لا يشغلنا ذلك عن قراءة النصوص الواردة في القسم الأول من هذا الكتاب.

ولن نلتزم في هذه القراءة بالضرورة بترتيب النصوص بل سننظر إليها باعتبارها نصوصاً متنوعة، لكنها متكاملة تعطى في مجموعها صورة واضحة عن البخل.

وقبل القراءة النقدية لا بد من الإشارة إلى الأسس التي قام اختيار النصوص عليها ويمكن تلخيصها فيما يلي:

(أ) وجدت كمًا هائلاً من النصوص التراثية عن البخل والبخلاء ولو أردت التوسع في جمع النصوص لكان لي ذلك، ولكنّ القدر المتفق عليه لهذه السلسلة لا يسمح بذلك.

(ب) ركزنا في الاختيار على القصص والحكايات وتركنا الحديث المباشر أو النكت القصيرة أو أساليب المؤلفين التقريرية في ذم البخل.

(ج) اقتصرنا على الشر وتركنا الشعر الذي قيل في البخلاء، وهو كم هائل ويحتاج إلى دراسة خاصة، واستثنينا من ذلك قطعة شعرية واحدة جعلناها خاتمة الاختيارات لأنها عبارة عن أقصوصة شعرية، وأسلوبها القصصي هو الذي جعلنا نختارها خلافاً للقاعدة.

(د) حاولنا التنوع في مصادر الاختيار حتى نعطي للقارئ الكريم نماذج مختلفة من أساليب المؤلفين، وإن كان للجاحظ نصيب الأسد من تلك المختارات وهذا أمر طبيعي، فمن يقرأ كتابات الجاحظ وكتابات غيره عن البخلاء لا بد أن ينحاز إلى كتابات الجاحظ لما فيها من إبداع وتصوير فني رائع ولأن من كتب بعده في هذا الموضوع إنما هم عيال عليه.

ومصادر اختيار النصوص هي:

- البخلاء للجاحظ.
- البخلاء للخطيب البغدادي.
- عيون الأخبار لابن قتيبة.
- العقد الفريد لابن عبد ربه.
- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي.
- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني.

- نثر الدر للآبى .

- نهاية الأرب للنويرى .

- المستطرف للأبشيهى .

(هـ) بعض القصص والحكايات وردت فى أكثر من كتاب فأشرنا بإيجاز إلى بعض مغان القطعة المختارة وهذا ليس على سبيل الحصر .

(و) لم نتدخل فى النصوص بتعديل لكننا حذفنا بعض المقاطع من النصوص الطويلة وضعنا نقطاً دالة على مكان الحذف وهذا قليل جداً .

(ز) شرحنا بعض الكلمات التى تحتاج إلى شرح وتجنبنا الإطالة والإكثار من الكلمات المشروحة، كما أننا لم نترجم للأعلام حتى لا نشغل القارئ بأى أمر يصرفه عن تأمل القصة أو الحكاية والاستمتاع بها .

(ح) حاولنا - قدر الإمكان - أن تكون القصص والحكايات متنوعة تغطى مختلف مناحى القول فى البخل والبخلاء من حرص على الطعام إلى أساليبهم فى التعامل مع الناس إلى وصاياهم لأبنائهم إلى موقفهم من منتقديهم إلى فلسفة البخل من وجهة نظرهم وكأننا أردنا أن يقدم البخلاء أنفسهم للقارئ الكريم من خلال هذه النصوص المتنوعة .

(٧)

المؤتمر العام للخلااء وقصة معاذ العنبرية

وأول نص اخترناه للجاحظ عن أصحابه من المسجدين كما أسماهم، وهو نص طويل أداره الجاحظ على شكل مؤتمر عام للخلااء لتدارس أمور البخل والتواصي به والدعوة إلى الاقتصاد والجمع والمنع كما كانوا يسمونه.

وقد مهد الجاحظ للحديث بمقدمة جميلة على شكل رواية حيث قال: قال أصحابنا من المسجدين فهم أولاً أصحابه وذلك أمر معروف من تاريخ الجاحظ ونشأته الفقيرة.

ولعل هذه الصحبة هي التي مكنت الجاحظ من الحديث عن البخل عن معاشة واقعية لهم وسبر لأغوارهم ومرصد لحججهم وأدلتهم وتحليل لنفسياتهم وسخرية ظاهرة أو مبطنة منهم.

والمسجديون طائفة من الفقراء وبعض البخلاء التي كانت تلامر مساجد البصرة وتتخذها ميدانا للدرس والمذاكرة. ولذلك فقد أبدع الجاحظ في اختيار المكان المؤثر ألا وهو المسجد، والمسجد لا يكون إلا للأعمال الجليلة، ومدارسة أمر البخل من عظام الأمور عند البخلاء.

ثم تأتي العبارة الثانية (من يتحلل الاقتصاد فى النفقة والتخير للمال من أصحاب الجمع والمنع) وكأن الجاحظ هنا يورد مصطلحات البخلاء ليسخر منهم أو كأنه يريد أن ينقلنا إلى الجو العام للمؤتمر فهؤلاء البخلاء كأنهم من خبراء المال والاقتصاد فى عصره، وهم فى الغالب كذلك فهذه الطبقة الاجتماعية التى يتحدث عنها الجاحظ هى طبقة الأثرياء المقترين الذين جمعوا المال ونموه عن طريق البخل أو الاقتصاد فى النفقة كما يسمون البخل، وهم أصحاب الاستثمارات المالية التى تعود عليهم بالنفع والمزيد من الذهب والفضة وهم أصحاب الجمع الذين لا يكلون ليلاً ولا نهاراً من السعى فى طلبه والتماسه بكل الطرق والوسائل المشروعة وغير المشروعة، وهم أصحاب المنع الذين يبخلون بالمال فلا ينفقونه، وسيرد فى الاختيارات أمثلة كثيرة على ذلك.

وبعد هذا التمهيد الممتع الجميل، وبعد أن أصبحنا مهئين لحضور المؤتمر، بدأ المتحدثون من البخلاء فى تقديم تجاربهم وخبراتهم ليستفيد كل من تجربة أخيه.

وكان أول المتحدثين شيخ كبير عرض تجربته فى الاقتصاد فى استهلاك المياه، ثم تحدث شيخ آخر عن حریم الصناع وكيف جمعت جهاز ابتها، ثم تحدث شيخ آخر عن تجربته مع النخالة، ثم وصلنا إلى النص الذى اخترناه وهو قصة معاذة العنبرية.

ويلحظ القارىء أن الرجال يتحدثون عن تجاربهم لكن العنصر النسائى له تجاربه فى ميدان الجمع والمنع والاقتصاد، وهنا يتولى الشيوخ عرض التجارب النسائية كما روى الشيخ قصة حريم الصناع وكما روى الآخر قصة معاذة العنبرية .

وقصة معاذة العنبرية تجربة حية فى مجال الاقتصاد المتزلى، وكيف يمكن للمرأة العاقلة المدبرة أن تستفيد من كل شىء فى موضعه المناسب وأن تتجنب الإسراف والتبذير والتفريط فى الأشياء .

جاء عيد الأضحى وأهدى لمعاذة شاة لتذبحها فى العيد وهذا أمر يدعو إلى الفرح والسرور لكن معاذة كانت كئيبة حزينة .

ولماذا هذ الحزن والإطراق والتفكير؟!

هذه أول تجربة لها بعد فقد زوجها الخبير المدبر .

فماذا ستصنع بالشاة وأجزائها وصوفها وجلدها ودمها وفرثها وعظمها؟!

لقد ذهب الدين كانوا يدبرون هذا الأمر ويقومون بحقه!

ولكن ماذا عليك يا معاذة لو ضاع من الشاة القليل القليل؟

تجيب على ذلك بحكمة وتدبر لست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجر إلى تضييع الكثير

إذن فهذا الوجل والاضطراب والحيرة له ما يبرره!!

فالأشياء لا تقاس وتقدر بأعيانها وإنما ينتج عنها ويترتب عليها .
وبعد ذلك بدأت المرأة تعرض علينا أوجه الانتفاع بكل جزء من
أجزاء الشاة ولم تدع شيئاً إلا وذكرت استعماله .
لكنها توقفت أمام أمر جلل ألا وهو دم الخروف، وهل تلقيه فى
الزبالة أو أن هناك وسيلة للانتفاع به .
منطقها يقول: كل شىء له فائدة .
لكنها لم تصل بعد إلى فائدة الدم .
وأخيراً فتح الله عليها وألهمها حسن التدبير بعد طول التفكير
وعرفت كيف تستخدم الدم فى طلاء القدور المخزنة عندها .
وتخزين القدر أمر ينسجم مع البخل ولذلك فقدورها الشامية جدد
لم تستعمل .
وإذا كان منطق الشعراء هو المدح بكثرة الرماد وسعة القدور وكثرة
استعمالها فإن منطق البخل والبخلاء يختلف عن ذلك فقدور معاذة
جديدة لم تستعمل .
وعند هذه النقطة يظن القارئ أن القصة قد انتهت؛ ولكن الجاحظ
الكاتب القدير يفاجئه بذيول القصة فالراوى يقول: إنه لقى معاذة بعد
سته أشهر وهى مدة طويلة كافية لأكل الشاة فيسأل عن القديد وهو
اللحم المجفف، ويتبادر إلى ذهننا أن الجواب: لقد انتهى كل شىء .

لكن الأمر مع هذه المرأة المدبرة المقتصدة مختلف جداً .

لم يحن أكل القديد بعد .

ولا ندرى متى يحين؟ لكننا نقول: لكل شىء إبان ووقت مناسب أما الأشهر الستة الماضية فقد تنعمت فيها معاذة بأكل لشحم والإلية والجنوب والعظم المعرق .

وبعد عرض التجارب جاء وقت الحكم والتقويم .

فقبض صاحب الحمار والماء قبضة من حصى أسفاً وندماً على ما فرط؟!!

ثم جاءت الخاتمة:

قال: لا تعلم أنك من المسرفين حتى تسمع بأخبار الصالحين .

يا لها من عبارة عظيمة تدل على عظمة الجاحظ وقدراته على الإبداع والتصوير؛ صاحب الحمار وصاحب الماء من المسرفين .

إنها نسبة الأشياء والأفعال .

وهكذا تدرج بنا الجاحظ من بخيل إلى أبخل منه .

فجمع لنا بين الإمتاع والفائدة .

وجعلنا نضحك مع البخلاء .

ونضحك من البخلاء ونسخر من تصرفاتهم .

(٨)

مشكلة تأجير العقارات

ويتحدث النص الثانى عن مشكلة أزلية هى العلاقة بين المؤجر والمستأجر، وبطل القصة هو الكندى، ولا ندرى هل هو الكندى الفيلسوف المشهور أم كندى آخر من أصحاب العقارات فى البصرة، لكن الذى عرفه من خلال النص الذى كتبه الجاحظ وأداره على لسانه أنه صاحب أملاك وعقار، وأنه شخص بخيل لكنه ظريف، وهذا نموذج حى من نماذج الجاحظ التى تجمع بين المتناقضات كالبخل والظرف وخفة الدم.

ولو استعرضنا نظام التأجير الذى ابتدعه الكندى لرأينا عجباً وكل ما نتمناه ألا يقع هذا النص فى أيدي الملاك وأصحاب المكاتب العقارية فيزيدون من تكبير المستأجر المسكين بشروطهم الجائزة.

وفى النص جدال بين المؤجر والمستأجر وحوار ساخن حول حقوق الطرفين، وقد أدلى كل طرف بحججه وقد أبدع الكندى، وإن شئت الدقة فقل أبدع الجاحظ على لسان الكندى فى عرض وجهة نظر أصحاب العقار حتى كدنا نقتنع بحججهم وآرائهم ومنطقهم ونسينا العلاقة غير الحميمة بين الطرفين ونحن نستمع بصياغة الجاحظ للقضية.

والقصة - بالإضافة إلى ماسبق - تمثل نموذجاً للبخل الذي يعتمد على الحجج والجدال في تفسير تصرفاته الغريبة وطلباته العجيبة.

(٩)

نفسيات البخل

ونعود إلى النص الثالث قبلاً عند صياغة الخطيب البغدادي للخبر، وكيف تأثر في هذا الفن بالجاحظ الرائد الأول لرسم شخصيات البخل وتحليل نفسياتهم في الأدب العربي وللنظر إلى قوله: فجعلت امرأته وبناته وجاراته يتطلعن من فروج الأبواب والسطوح إلى الضيف وأكله ويقولون: ويلكم جاء الضيف؟! وكأن الضيف شخص عجيب غريب يروونه لأول مرة.

وقد جاءت خاتمة القصة حميدة طيبة عندما تغيرت طباع الطوسي وأصبح كريماً أو كما قال الخطيب: لا يمر به ضيف إلا قراه.

(١٠)

هل للبخل وطن؟

هل للبخل وطن؟!

هل يمكن أن نحكم على عامة أهل بلد بالبخل أو بالكرم؟

المنطق يرفض ذلك، ففي كل بلد كرماء وبخلاء.

لكن بعض البلدان اشتهر أهلها بالبخل، أو شهرهم الأدباء بذلك وجنوا عليهم.

ومن تلك البلدان إقليم خراسان بصفة عامة ومدينة مرو بصفة خاصة، فقد وجه إليهم الجاحظ سهام نقده ولاذع أسلوبه، وروى في كتاب (البخلاء) الشيء الكثير والعجيب عن بخل الخراسانيين والمراورة.

والنص الثالث من المختارات كتبه الخطيب البغدادي عن بخل أهل طوس وكيف كانوا يتهربون من إكرام الضيف بل إنهم لا يعرفون معنى الضيافة.

والنص السادس كتبه الجاحظ عن بخل الخراسانيين، وكيف أنهم قد قننوا البخل ووضعوا له الأنظمة واللوائح والأحكام.

ونلتقى بالجاحظ في النص التاسع وهو يتحدث عن بخل أهل مرو.

واقراً إن شئت النص العاشر لتتعرف على نموذج آخر من نماذج البخل، وقد امتد تأثير اتهام أهل إقليم بعينه بالبخل إلى الأدب الشعبي وإلى الأمثال الفصيحة والشعبية وأغلب الاتهامات إنما تكون بين البلدان المتجاورة.

وقد ذكر الدارسون أن الجاحظ قد ركز في كتابه البخلاء على بخل

أهل مرو وخراسان دفاعاً عن العرب ضد هجمات الشعوبيين من
الفرس الذين نفوا عن العرب صفة الكرم. فبنى الجاحظ كتابه على
إثبات الكرم العربى، والحديث عن أصناف الطعام عند العرب فى
نهاية الكتاب، وأكثر من التندر على الخراسانيين وأهل مرو.

(١١)

التقتير وحب الأكل صفة لازمة للبخل

ويجمع البخل بين البخل والتقتير وحب الأكل واشتهاء اللحم
لكنهم يأكلون بشراهة ونهم عندما يدعون إلى موائد الكرماء، أما فى
بيوتهم فلهم مع اللحم والإدام شأن آخر وهذا ما يتحدث عنه النص
الرابع الذى يتحدث فيه البخيل عن أكل لحم الرأس وما ذلك إلا لأنه
رخيص الثمن، ومع ذلك، فإن البخيل يذكر له من الفوائد ما يرغب
الناس فيه أو بتعبير أدق ما يزين أكله عند البخيل نفسه.

وقد أورد الثورى فى هذا النص الفوائد الكثيرة للحم الرأس.

ويلحق بهذا ما ورد بشأن الرءوس فى النصوص الأخرى.

(١٢)

عشق المال والتفنى به

والبخيل عاشق للمال لا يعدل به شيء لذلك رأيناه في النص
الخامس يخاطبه ويلاحقه ويناجيه ويطمئنه إلى أنه لن يخرج من كيسه
أبدًا.

وهذا المعنى تطرق إليه البخلاء كثيرًا وتفننوا في التعبير عنه
وتأصيله في نفوس أبنائهم كما نجد في النص العشرين وفيه يطلب
الابن من أبيه درهمًا واحدًا ليأكل به هو وأصحابه، ولكن الأب ينهره
ويبكته ويحكى له قصة الدرهم منذ أن كان في بطن الأرض معدنًا
حتى وصل إليه.

(١٣)

هل تورث صفة البخل؟

ويعالج النص السابع قضية مهمة تتعلق بتوارث الصفات والطباع
والعادات، ومن المعروف أن قانون الوراثة يسرى على الصفات الخلقية

الحسية، أما الأخلاق فتكتسب ولكنها دون شك تخضع لقانون آخر هو قانون التأثر والافتداء، ولذلك اكتسبت المرأة الأولى فى هذا النص الطباع الحسنة من كرم وبشاشة من أسرتها وكانت شبيهة بأخيها، أما المرأة الثانية فقد اكتسبت أيضا الصفات الذميمة من بخل وشراسة من أسرتها فكانت شبيهة بأخيها أيضا وجمال القصة فى تداخل العلاقات والمفارقة بين صفات الزوجين والزوجتين.

وإلى هذه القضية يشير مضمون النص (التاسع) فهذا الغلام الصغير الذى عاش فى بيئة بخيلة أصبح بخيلاً بالتأثر والعدوى لكن الأمر فى ذلك ليس ضربة لازب فرما أنجب البخيل كريماً وربما خلف الكريم بخيلاً، والله فى خلقه وأخلاقهم شئون وشئون.

(١٤)

استغلال الدين والعبادات من قبل البخلاء

وقد يستغل البخيل الدين والعبادة وبعض الأحكام الشرعية لصالحه ولحماية نفسه وماله - كما يتوهم - من طمع الطامعين.

فهذا البخيل (النص الثامن) يلزم جلساءه أن يحلفوا بالله أنهم قد شبعوا ويتوصل إلى ذلك بحيل وأساليب ملتوية، وبعد أن يتم له ذلك بأكل قرير العين آمناً على طعامه وشرابه فالذى أقسم اليمين أنه

قد شبع فى بيته لا يمكن أن يمد يده إلى الطعام وإلا لكان حائثاً فى يمينه وهكذا استغل البخيل الحلف .

وهذا بخيل آخر (النص الثلاثون) يريد أن يتعاقد مع فقير على خدمته ولا يريد أن يدفع له عوضاً مقابل ذلك وإنما يكتفى بتأمين أكله وشربه، وياله من أكل يأتى من بخيل، وعندما وافق المسكين مضطراً عاد البخيل إلى المساومة وطلب التخفيض؛ وماذا يستطيع المسكين أن يخفض؟ والبخيل لم يدفع له شيئاً لكن الحاجة هدته إلى ما يرضى البخيل فقال: أصوم الاثنين والخميس وصيام الاثنين والخميس سنة لكن البخيل لا ينظر إلى الصيام من هذه الزاوية وإنما ينظر إليه من زاوية الاقتصاد فى النفقة؛ ولذلك فرح بهذا العرض واستغل الصيام للتوفير .

(١٥)

نكران الجميل

ويكشف لنا (النص العاشر) عن صفة ذميمة من صفات البخلاء وهى نكران الجميل . فهذا البخيل المروزى يستغل شهامة العراقى وصداقته له فينزل عنده مرارا وتكراراً معززاً مكرماً، وعندما يحين وقت الوفاء ورد المعروف والقيام بحقوق الصداقة يتنكر لذلك، ويدعى أنه لا يعرف العراقى ويحاول هذا الرجل الكريم أن يعرفه

بنفسه وأن يجد له عذراً في تغير اللباس ووعشاء السفر لكن البخيل يحسم الأمر بكلمته الخاتمة: لو خرجت من جلدك لم أعرفك، فعليك أن ترحل، وعلينا أن نأخذ العبرة من الحدث فلا نضع المعروف في غير أهله.

والحكايات من هذا النوع كثيرة وهي تدل على أخلاق البخلاء ونكرانهم للجميل.

(١٦)

فوائد الضحك

أما قصة محفوظ النقاش مع الجاحظ (النص الحادي عشر) قصة عجيبة؛ فالنقاش صديق للجاحظ وقد خرجا من المسجد معاً فخالف النقاش طبعه ودعا الجاحظ إلى داره وأنى للجاحظ الخبير بالبخلاء أن يخذع بهذه الدعوة لكنه أراد أن يقف على نموذج عملي متجسد للبخل فقبل الدعوة، ثم عاد البخيل إلى طبعه فماتل وراوغ وحاور الجاحظ ليردعه عن جريمة أكل مال البخيل، لكن الجاحظ يجد لذة لا تعدلها لذة في ذلك فيقدم على الأكل وهو مستغرق في الضحك، ثم يعلق الجاحظ على الحدث تعليق الخبير بتأثير الضحك والسرور فيقول:

ولقد أكلته جميعاً فما هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور
فيما أظن .

وهذا فهم دقيق من الجاحظ لأثر الضحك على الصحة .
ويختم القصة بحديث علمي دقيق عن الضحك الجماعي
والضحك الفردي فيقول: ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على
شطر مشاركة الأصحاب .

(١٧)

فلسفة البخل

ويتضمن (النص الثاني عشر) حواراً حول فلسفة البخل وتعليقات
البخلاء . فالخزامي يرضى ويبتهج أن يقال عنه: إنه بخيل وعندما
حاوره وناظره صاحبه في ذلك قال: لا يقال عن الشخص بخيل إلا
وهو ذو مال ويكفيني أن أكون ذا مال، وليقل الناس ما يقولون، لكن
المحاور حاول إفحامه وإلجامه فقال: إن السخي يجمع بين المال
وحسن الذكر، بينما البخيل يجمع بين المال وسوء الذكر . . .

ويبدو للوهلة الأولى أن صاحبنا البخيل قد هزم في هذه المحاوره
لكنه بخيل وفيلسوف، ولذلك عاد إلى تحليل الموضوع وتقليبه وانتهى
إلى أنه لا يقال بخيل إلا ويعنى ذلك ثبات المال واستقراره في ملكه

لكن السخاء خطر على المال والمهم عنده هو المال ودوامه واستقراره ،
أما أن يحمّد ويفقد المال فذلك هو الخسران المبين وما درى ذلك
البخيل أنه قد يفقد المال والحمد معاً ، وقد يثبت للكريم السخى المال
والحمد معاً ولكن أنى لهذا البخيل أن ينظر إلى معالى الأمور ومكارم
الأخلاق .

ومن فلسفة البخلاء ما ورد فى النص الثامن والعشرين حول فضل
الوحدة وعدم الاختلاط بالناس ، وأن الوحدة هى الأصل والقاعدة
ولذلك فأكل البخيل وحده يجرى على هذا القياس ، ومن أراد
مؤاكلة الناس ودعوتهم فقد خالف الأصل وعلبه بالدليل .

(١٨)

التحذير من البخل

أما النص الثالث عشر فهو نص مباشر فى التحذير من البخل وهو
فى الحقيقة لا يعبر عن رأى البخلاء وإنما عن الرأى المضاد لهم ، فيه
كشف وتعرية لهم ، وقد اخترناه مع نصوص البخلاء مع أنه فى
التحذير عن البخل ليقف القارئ الكريم على رأى صريح فى ذم
البخل كتبه شخص استشير من قبل أحد أصحابه فى طلب العون من
رئيس بخيل فجاء الرد قوياً مجلجلاً فى التحذير من ذلك وتضمن

النص شيئاً من المبالغات والتحامل على البخلاء لكنه نص جيد ذو فائدة وتأثير قوى فى التحذير من تلك الفئة وتعريفهم والكشف عن مغالطاتهم.

(١٩)

المفاخرة بالبخل

وإذا كان بعض البخلاء يغالط ويدعى أن ما به من بخل إنما هو اقتصاد وحسن تدبير، فإن بعضهم كان يفاخر ببخله ويجاهر به، ويتمنى أن يعرفه الناس بهذه الصفة حتى يكفوا عن رجاء ما عنده وحتى يسلم من مضايقتهم له بطلب العطاء.

فهذا محمد بن الجهم (النص الخامس عشر) يقول: وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الأدباء تواطئوا على ذمى حتى ينتشر ذلك عنهم فى الآفاق حتى لا يمتد إلى أمل أمل ولا ينبسط نحوى رجاء راجٍ.

فهذا الرجل يريد قطع حبل الرجاء والأمل وما يفيد ذلك إذا كان سيمنع عنه طلاب الرشد والمساعدة والطامعين فى شرابه وطعامه.

وقبل محمد بن الجهم قال الحزامى (النص الثانى عشر) لا أعدمى الله هذا الاسم وفلسف ذلك وأورد عليه الحجج والبراهين.

(٢٠)

التربية عند البخلاء

ويتبارى البخلاء فى تربية اولادهم على البخل والتقتير، ويعجبون بأكثرهم بخلًا مما يدل على نجاح الأب فى التربية فهذا البخيل (النص السادس عشر) بعد أن أكل اللحم ولم يبق إلا العظم وقد اشربت أعناق أولاده إلى هذا العظم، كل يطمع إلى نيله والفوز به ولكن ذلك لن يتحقق إلا بعد مباراة وامتحان عصيب، ولذلك وجه سؤالاً واحداً إلى أبنائه الثلاثة هو من يحسن وصف أكل هذه العظام؟

وبدا بالابن الأكبر لكبر سنة ولأنه يتوقع إجابته الجواب من طول الخلطة والمعاشرة ولما مرّ به من مشاهد ومواقف تعلمه البخل وتجعله يبدع فى الجواب، لكن الابن الأكبر فشل فى الامتحان حيث أجاب بقوله: آكله حتى لا أدع لذرة فيه مقيلاً.

وهنا انتقل السؤال إلى الابن الأوسط فكانت إجابته أدل على البخل من الأكبر لكنها لا ترضى طموح الأب فى أن يكون أبناؤه أبخل منه قال الابن الأوسط: آكله حتى لا يدرى العامه هو أم لعام أول.

وهنا تصدى الابن الأصغر للجواب وجاء بكلمة الفصل فى هذه المشكلة فقال: أدقه دقًا وأجعل إدامه المنخ.

ورضى الأب عن جوابه وسلم إليه العظم وقال هو لك .
ونحن نقول إن الابن يستحق الهدية الثمينة، فقد بلغ فى الفقر
وفلسفته شأواً تفوق فيه على والده الخبير المجرب .

(٢١)

التظاهر بالكرم

وكثير من البخلاء يشعر بالنقص ولذلك تراه يمارس بعض الأعمال
التي توهم الآخرين بأنه كريم، فيلقى أمام منزله بعض المخلفات
الدالة على الكرم كما فعل صاحبنا (النصر الثانى والعشرون) عندما
وضع عظام الرأس أمام داره يتجمل بها أمام جيرانه كما قال ولكنه
كان يسكن فى حىّ أهله يغلب عليهم البخل ولذا قام جاره وهو من
طبقة يأخذ العظام ووضعها أمام داره ليتظاهر بالكرم وإنه لحيّ ينبغى
للكريم أن يرتحل منه قبل أن تصيبه العدوى ويصبح من البخلاء .

(٢٢)

آباء وأبناء

علاقة الآباء بالأبناء تقوم على العطف والرحمة وحسن التربية،
وعلاقة الأبناء بآبائهم تقوم على البر والصلة والعطف والرعاية، لكن

القصص التي معنا تدل على إفساد البخل لتلك العلاقة، فعندما يتعرض المال لخطر الإنفاق أو هكذا يتصور البخيل فلا مجال عنده للعطف والرحمة ولا للوفاء والتقدير.

فهذا الأب (النص الرابع والعشرون) لا يود أن يهضم أبناؤه الطعام هنيئاً مريئاً، بل يتمنى عكس ذلك حتى يسلم - أو هكذا يتوهم - من إطعامهم في اليوم التالي، فقد لحظ الضيف أن الأب يقوم من الليل ويقلب أبناؤه على الجنب الأيمن، وعندما سأله عن ذلك ذكر له سبباً لا يخطر إلا على بال البخلاء، فهو يخشى أنهم إذا ناموا على الجنب الأيسر فسيهضمون طعامه وهو لا يريد ذلك، ولذا فقد قلبهم على الجنب الأيمن كي لا يهضموا الطعام، وأين هذا الأب من أولئك الآباء الرحماء الذين يبحثون لأبنائهم عن الشراب الهاضم للأكل لكنه مرض البخل يفعل بأصحابه الأفاعيل حتى ولو كانوا أبناءهم.

وفي مقابل ذلك نجد الأبناء البخلاء لا يذكرون آباءهم بخير إن أحسوا أو عرفوا من أخبارهم ما يوحي بمجانبة البخل وبشيء من الإنفاق في عرف البخلاء وهو التقدير بعينه عند الكرماء، ولكن المفاهيم مختلفة عند هذه الفئة المريضة من الناس، وللنظر إلى تعليق الابن البخيل (القطعة الخامسة) على حال والده واتهامه له بالإسراف، فعندما مات البخيل حضر ابنه لا لتقبل العزاء وتحمل المسؤولية ولكن لإحصاء أموال الأب وضمها إلى أمواله المكنوزة وهنا يسأل الابن أخواته عن طريق والده في النفقة، وعندما قالوا له إنه

كان يتأدم بجبنة يمسح اللقمة عليها، طلب المعاينة والفحص وعندما رأى الجبنة وبها حزّ من أثر أكل والده اعتبر ذلك إسرافاً وقال: لو علمت أن ذلك صنيعه وإسرافه لما صليت عليه وعندما سئل عن طريقته فى الأكل قال أضع الجبنة من بُعد وأشير إليها باللقمة!!

ونحن لا نسلم بصحة تلك القصص على سبيل اليقين، لكنها تدل على اضطراب العلاقة بين الآباء والأبناء بسبب البخل والشح وفى تصويرهم بهذه الصورة يقطع النظر عن حقيقة وقوعها تنفير من البخل لا شك فيه.

(٢٣)

نوادروطرف

وفى بعض حكايات البخلاء نوادر وطرف مائعة وهى ذات دلالات نفسية واجتماعية تساعد من يدرس نفسية البخلاء وكيف سيطر البخل على تصرفاتهم.

فهذا بخيل لا يأكل إلا فى منتصف الليل، ولك أن تسأله عن الحكمة فيجيبك جواباً مقنعاً عند أمثاله من البخلاء ويعدد لك فوائد الأكل فى ذلك الوقت، ومنها الأمن من مفاجأة الضيوف له وهو يأكل (النص الرابع).

وهذا بخيل آخر يرد على صاحبه الذى احتج على عدم دعوته له فقال: كيف أدعوك وأنا أعرفك وأعرف طريقتك فى الأكل وربما التقينا على مائدة كريم فأنت سريع البلع وإذا أكلت لقمة هيأت أخرى....

ولم يفوت صاحبه له هذه الفرية فرد عليه ردًا جميلاً لا يقدر عليه إلا أمثاله فقال: أتريد منى إذا أكلت لقمة أن أصلى ركعتين ثم أعود ثانية؟! ولو قام للصلاة لرفع البخيل الطعام؟ (النص السادس والعشرون).

وهذا بخيل ثالث له قصة ظريفة فقد دخل عليه أحد الأصدقاء وقد شارف هو ومن معه على الانتهاء من الأكل، وعندما همَّ القادم الجديد بالأكل قال له: أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحاء، وكأن الأكل معركة حامية الوطيس وهو كذلك عند هؤلاء البخلاء وهمَّ البخيل الآن هو تقليل الخسائر ما أمكنه ذلك ولذا قال: أجهز على الجرحى ويريد ذلك الدجاج والفراخ الذى أكل منه، واترك الأصحاء أى الذى لم يؤكل منه أصلاً، وهكذا استخدم البخيل المصطلحات العسكرية فى مجال الأكل ويا لها من معركة؟!.

أما الرابع فقد رزقه الله بخادم أفقه منه وأعلم فى باب البخل ولعله تلقى العلم منه ثم فاق أستاذه فيه، فعندما قال السيد البخيل لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب حتى لا يشاركنى أحد فى الأكل، أحس الغلام النابغة أن فى ترتيب الكلام خطأ فإن هو أحضر الطعام

ثم ذهب لإغلاق الباب فقد يحضر الضيف ويستغل الوقت ما بين وضع الطعام وإغلاق الباب، فتقع الكارثة على سيده وتمتد آثارها إليه ولذلك قال: يا سيدى إن منطق البخل وفقهه يقتضى أن تقول أغلق الباب أولاً ثم أحضر الطعام، فعلم السيد أن خادمه قد فاقه فى التدبير وفهم الأمور أو فى الحزم كما عبر عن ذلك عندما قال: أنت حر لعلمك بالحزم.

ولكن علينا ألا ننخدع بهذه الأريحية والكرم الذى أدى إلى عتق الغلام، فإنما هى فورة حماس وإعجاب وبعد ذلك لن يعدم البخيل وسيلة للتراجع عن عتق الغلام (النص التاسع والعشرون).

وهذا بخيل غلبه الحياء فأكل، وما ظنك ببخيل يستحى فيأكل، لا بد أن يكون لذلك قصة (النص الثامن عشر) فقد ترافق شخص مع بخيل وكان هذا البخيل قد جمع إلى البخل صفة ذميمة أخرى هى الكسل والعجز والخوف من الإنفاق، فعندما طلب منه صاحبه فى السفر أن يذهب لشراء اللحم من السوق امتنع وعندما طلب منه أن يطبخ اعتذر أيضاً، وعندما حان وقت الأكل وطلب منه أن يأكل قال: والله لقد استحييت من كثرة خلافى عليك ولولا ذلك ما فعلت، ثم هجم على الأكل بنفس شهية، فقد أمن التعب والإنفاق فما عليه إن أكل وشرب من مال غيره.

أما البخيل البصرى (النص التاسع عشر) فقد أكل وأكثر من الأكل

حتى أصيب بالتخمة وعندما زاره الطبيب ووصف له دواء التخمة
رفض بشدة وقال:
الموت أهون من ذلك.

(٢٤)

الخصائص العامة لقصص البخلاء

- وإذا عدنا إلى النصوص السابقة لنستنبط منها الخصائص العامة
لقصص البخلاء وحكاياتهم فسنجد ما يلي:
- يحاول البخلاء ما أمكنهم ذلك إخفاء بخلهم وهذا اعتراف منهم
بأن البخل رذيلة.
 - إذا عجزوا عن إخفاء البخل لجئوا إلى المغالطة والتأويل وقلب
المفاهيم، فإذا البخل اقتصاد وإذا التقدير حسن تدبير وهكذا يسمون
الأشياء بغير أسمائها.
 - إذا فشلت كل محاولاتهم في التستر والتخفى أو إذا شعروا أن في
المجاهرة بالبخل تخليصاً لهم من النفقة أو من طمع الآخرين
جاهروا بالبخل وأعلنوها صريحة أنهم بخلاء بل وفانخر بعضهم
بذلك.
 - البخلاء لا شأن لهم بالعلاقة الاجتماعية بل حياتهم تقوم على

الوحدة والانفراد والتوحش من الآخرين ، لأن فى الاجتماع بذل وإنفاق وهم غير قادرين على ذلك .

- وعلاقتهم الأسرية قائمة على التقدير والشدة والقسوة ويرون فى ذلك من حسن التربية وحماية الأولاد من البطر والإسراف .

- وفى تصرفاتهم تناقض عجيب ، فإن دعوا إلى وليمة أكلوا وأكثروا ما دام المال مال الغير ، أما إذا كان الإنفاق من جيوبهم فلذلك شأن آخر .

- يتحول البخل الشديد إلى هاجس مرضى بل وإلى خوف دائم من الفقر مما يدل على سوء الظن بالله .

- فى بعضهم ظرف ونخفة دم وبخاصة عندما يجادل ويحاور فى فضيلة الاقتصاد والتوفير كما يحبون أن يطلق عليهم وعلى بخلهم .

وقد حاول أكثر الكتاب الذين اخترنا من تراثهم النصوص السابقة محاربة البخل والتنفير منه بوسائل عدة :

- فمنهم من حاول ذلك مباشرة وبأسلوب صريح فأتى بالآيات والأحاديث والمواعظ التى تحذر من البخل وتدعو إلى البذل والإنفاق .

- ومنهم من عالج هذه الرذيلة ونفر منها بأساليب غير مباشرة تعتمد على الإيحاء والتأثير غير المباشر، كأن يرسم لنا البخيل فى صورة منفردة، أو يعرض حججه بطريقة مضحكة، أو يضعه فى مواقف تدعو إلى النفور.

- ومنهم من زاوج بين الأسلوبين فىأتى بالقصة ثم يعلق عليها، أو يعرض للخبر ثم يستخلص منه العبرة..

(٢٥)

دراسات متنوعة

وأخيراً فإن الكم الهائل من أخبار البخلاء وقصصهم وأشعارهم وما قيل فى ذمهم والتشهير بهم، يحتاج إلى دراسات متنوعة تشارك فيها علوم كثيرة بالإضافة إلى الدراسات الأدبية.

فعلماء النفس مجالهم الرحب فى تحليل نفسية البخلاء المريضة.

ولعلماء الاجتماع فرصتهم فى دراسة آثار البخل على العلاقات الاجتماعية ولعلماء التربية دورهم فى دراسة تأثير البيئة البخيلة على اتجاهات الأولاد. ولعلماء الاقتصاد مجال فى دراسة العلاقة بين البخل وتنمية الثروة.

أما الدراسات الأدبية فقد قالت كلمتها:
إبداعاً ونقداً وتحليلاً
وقانا الله شر البخل
وحبب إلينا البذل والعطاء.

* * *

المصادر والمراجع

- ١- إتحاف النبلاء بأخبار الكرماء والبخلاء.
جمال الدين ابن المبرد الدمشقي الحنبلي، تحقيق يسرى عبد الغنى.
دار الكتب العلمية/ بيروت/ لندن/ ١٤١٠هـ.
- ٢- أدب الجاحظ من زاوية صحفية.
د. محمود أدهم. القاهرة/ ١٩٨٦م.
- ٣- أدب الفكاهة عند الجاحظ.
د. أحمد عبد الغفار عبيد. مكتبة السعادة / القاهرة / ط ١ /
١٤٠٣هـ.
- ٤- ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ.
د. رشيدة عبد الحميد اللقاني. مطبوعات جامعة الملك سعود
بالرياض/ ط ١ / ١٤١٣هـ.
- ٥- الإمتاع والمؤانسة.
لأبي حيان التوحيدى. دار مكتبة الحياة/ بيروت/ لبنان.

٦- البخلاء للجاحظ.

تحقيق طه الحاجري. دار الكاتب المصري / القاهرة / ط ١ /
١٩٤٨ م.

٧- البخلاء للجاحظ.

ضبطه وشرحه وصححه أحمد العوامري وعلى الجارم. دار الكتب
العلمية / بيروت / ١٤٠٣ هـ.

٨- البخلاء للخطيب البغدادي.

تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي وأحمد القيسي. مطبعة
العاني / بغداد.

٩- بناء النص التراثي.

د. فدوى مالطي دوجلاس. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
القاهرة / ط ١ / ١٩٨٥ م.

١٠- التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم.

للخطيب البغدادي. تحقيق د. عبد الله عبد الرحمن عسيلان. دار
المدني / القاهرة / ط ١ / ١٤٠٦ هـ.

١١- الجاحظ.

لشارل بلا. ترجمة د. إبراهيم الكيلاني. دار اليقظة / دمشق /
١٩٧١ م.

١٢- رحلة التراث العربى.

د. سيد حامد النساج. دار المعارف / القاهرة / ط ٢ / ١٩٨٥ م.

١٣- سخرية الجاحظ من بخلائه.

د. محمد بركات حمدى أبو على. مكتبة الأقصى / ط ٢ /

١٤٠٢ هـ.

١٤- السخرية فى الأدب العربى.

د. نعمان أمين طه. دار التوفيقية / القاهرة / ط ١ / ١٣٩٨ هـ.

١٥- صورة بخيل الجاحظ الفنية.

أحمد بن محمد أمبيريك. دار الشؤون الثقافية / بغداد.

١٦- ظاهرة الكدية فى الأدب العربى.

د. حسن إسماعيل عبد الغنى. مكتبة الزهراء / القاهرة / ط ١ /

١٤١١ هـ.

١٧- العقد الفريد.

لابن عبد ربه الأندلسى. تحقيق محمد سعيد العريان. مطبعة

الاستقامة / القاهرة / ط ٢ / ١٣٧٢ هـ.

١٨- عيون الأخبار.

ابن قتيبة الدينورى. دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان.

- ١٩- فن السخرية فى أدب الجاحظ.
- رابع العربى . ديوان المطبوعات الجامعية / الجزائر / ط ١ / ١٤٠٩هـ.
- ٢٠- فن القصص فى كتاب البخلاء.
- محمد المبارك . دار الفكر / دمشق / ط ٢ / ١٣٨٤هـ.
- ٢١- القيمة الاجتماعية والتاريخية فى كتاب البخلاء.
- صالح بن سليمان الواشمى . جمعية الثقافة والفنون / بريدة / ط ١ / ١٤٠٦هـ.
- ٢٢- المجتمع العباسى من خلال كتابات الجاحظ.
- د. محمد عويس . دار الثقافة / القاهرة / ط ١ / ١٩٧٧م.
- ٢٣- المستطرف فى كل فن مستظرف.
- شهاب الدين الأبهى . دار القلم / بيروت / لبنان / ١٤٠١هـ.
- ٢٤- مع بخلاء الجاحظ.
- فاروق سعد . دار الآفاق الجديدة / بيروت / ١٩٧٨م.
- ٢٥- من معجم الجاحظ.
- د. إبراهيم السامرائى . بغداد / ١٩٨٢م.

٢٦- نشر الدر.

للوزير الكاتب أبى سعد منصور بن الحسين الأبى. تحقيق محمد
على قرنة الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة / ط ١ /
١٩٨٣ م.

٢٧- النشر الفنى وأثر الجاحظ فيه.

د. عبد الحكيم بلبع. مكتبة وهبة / ط ٣ / ١٣٩٥ هـ.

٢٨- نهاية الأرب فى فنون الأدب.

شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويرى. نسخة مصورة عن
طبعة دار الكتب المصرية / سلسلة تراثنا.

* * *

فهرس الكتاب

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| تقديم | ٥ |
| القسم الأول | |
| النصوص المختارة | ١٥ |
| المؤتمر العام للبخلاء | ١٦ |
| الكندى وتأجير العقارات | ١٩ |
| بخل أهل طوس | ٢٢ |
| أكل الرءوس | ٢٣ |
| مخاطبة الدراهم | ٢٥ |
| طعام بكلام | ٢٧ |
| توارث الطباع والعادات | ٢٨ |
| استوثق من عدم الأكل بالعهود والأيمان | ٢٩ |
| بخل أهل مرو | ٣٠ |

| | |
|----|-------------------------------------|
| ٣١ | لو خرجت من جلدك لم أعرفك |
| ٣٢ | محفوظ النقاش |
| ٣٤ | فلسفة البخلاء |
| ٣٥ | تحذير من بخيل |
| ٣٦ | حيلة بخيل |
| ٣٧ | لا يمتد إلى أمل أمل |
| ٣٨ | البخيل وأولاده |
| ٣٨ | الطعام والسجن |
| ٣٩ | استحى فأكل |
| ٤٠ | أموت ولا أتقياً |
| ٤١ | لا تمس الدرهم إلا بثوب |
| ٤٢ | فوائد الرءوس |
| ٤٣ | يتجمل بالطعام أمام داره |
| ٤٤ | يأكل فى منتصف الليل |
| ٤٤ | يقلب صبيانه وهم نيام |
| ٤٥ | أجهزوا على الجرحى |
| ٤٥ | أصلى ركعتين بين لقمة وأخرى |
| ٤٦ | المصباح |
| ٤٦ | الوحدة |

| | |
|----|--|
| ٤٧ | أغلق الباب وأت بالطعام |
| ٤٨ | أصوم الاثنين والخميس |
| ٤٨ | أقصوصة شعرية |
| | القسم الثاني |
| ٥١ | الدراسة |
| ٥٢ | البخل فى الكتاب والسنة |
| ٥٢ | البخل فى التراث العربى |
| ٥٤ | البخل فى الأدب العربى الحديث |
| ٥٥ | البخل فى الآداب العالمية |
| ٥٥ | عرض لأشهر المؤلفات فى البخل والبخلاء |
| ٥٨ | أسس اختيار النصوص |
| ٦١ | المؤتمر العام للبخلاء وقصة معاذ العنبرية |
| ٦٦ | مشكلة تأجير العقارات |
| ٦٧ | نفسيات البخلاء |
| ٦٧ | هل للبخل وطن؟ |
| ٦٩ | التقدير وحب الأكل صفة لازمة للبخلاء |
| ٧٠ | عشق المال والتغنى به |
| ٧٠ | هل تورث صفة البخل؟ |
| ٧١ | استغلال الدين والعبادات من قبل البخلاء |

| | |
|----|-----------------------------|
| ٧٢ | نكران الجميل |
| ٧٣ | فوائد الضحك |
| ٧٤ | فلسفة البخل |
| ٧٥ | التحذير من البخل |
| ٧٦ | المفاخرة بالبخل |
| ٧٧ | التربية عند البخلاء |
| ٧٨ | التظاهر بالكرم |
| ٧٨ | آباء وأبناء |
| ٨٠ | نوادير وطرف |
| ٨٣ | الخصائص العامة لقصص البخلاء |
| ٨٥ | دراسات متنوعة |
| ٨٥ | المصادر والمراجع |
| ٩٣ | الفهرس |

رقم الإيداع ١١٩٢٦ / ٩٨
الترقيم الدولي 0 - 0441 - 09 - 977

مطابع الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيويه المصرى - ت ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت: ص ب. ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)

بنوادر البخلاء

نصوص ودراسة

تتبع الدكتور الربيع في القسم الثاني من هذا الكتاب، حركة التأليف حول البسخل والبخلاء منذ الأصمعي، وحتى الفقيه الحنبلي جمال الدين يوسف، ومرورا بالجاحظ، وابن قتيبة، وأبي حيان التوحيدي، وابن عبد ربه، والأبشيهي، وغيرهم كثيرون.

ولم يكتف الدكتور الربيع بذلك، بل قدم لنا في القسم الأول نماذج من نوادر البخلاء، ضبطها، وشرح غامضها وأحالتها إلى مصادرها الأصلية، وأخيرا حللها وأشار إلى دلالاتها المضمونية والفنية في نهاية الكتاب. وبذلك أصبح القارئ أمام نماذج، معتمدة وأصلية، تمثل هذا الجنس الأدبي، وتدفعه إلى اكتشاف مصطلحاته الخاصة، وإلى إرساء دعائمه كفن مستقل، ليس هو القصة القصيرة، ولا المقالة النقدية، ولكنه فقط هو النادرة العربية.

دار الشروق

القاهرة - ٨ شارع سيديوية المصري - رابعة العنبرية - مدينة نصر
من ب. ٢٢ ألبانوراما - طيفون ١٠٢٢٢٩٩ - فاكس ٤٠٢٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت - من ب. ٨٠٦٤ هاتف ٢٦٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس ٨١٧٧٦٥ (٠١)